منهج الدّلالة القرآنيّة للألفاظ

(مدخل لتفسير القرآن بالقرآن)

إعداد: **د. حسن عبد الغني الأسدي**

جامعة كربلاء / كلية التربية

توطئة:

يجد المتأمّل في حقل التفسيرأنّ المفسرين قد نزعوا إلى الاختلاف من خلال تعدّد مناهجهم التي اعتقدوا فيها الصواب للكشف عن دلالة آيات الله؛ ولعل منشأ هذا التعدد مؤسس على اختلاف سابق بينهم هو الاختلاف في المذهب الفقهي ؛ وكأنهم في ذلك مصداق واضح لما جاء في الآية المباركة من قوله تعالى:

(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلاَّ الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَىاللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (البقرة: ٢١٣)

إذ الاختلاف ظهر من بعد ما أُنزل كتاب الله إليهم ،وهو غير الخلاف الذي نشأ من الاجتهاد العلمي المعتبر الذي يعتمد على المقدرة العقلية للمفسر؛ الأمر الذي يدعونا إلى إمكانية القول إنّ الاختلاف المشار إليه يبرز نتيجة تعارض في المصالح الشخصية والفئوية في ما اختلفوا فيه من دون الالتفات إلى ما يريده الله تعالى، وإلى ما دعاهم إليه رسوله الكريم (صلى الله عليه وآله) وبمعنى آخر دخول الاعتبارات المسبقة في فهم كلام الله وكلام رسوله؛ ولعل في التراث التفسيري شواهد لا تحصى لهذه المسبقات التي تراعى فيها المصالح الفِرقيّة. ثمّ إنّ الاختلاف في فهم الآيات القرآنية مؤسس على اختلاف مذهبي ضرب جذوره بين المسلمين منذ الصدر الأول للرسالة الإسلامية؛ ويستهدف البحث الذي نحن بصدده وضع معالم منهجية تكون الطريق نحو فهم كلام الله تعالى في القرآن الكريم، وتكون تلك المعالم (خطوات التفسير) مستقاة من داخل النصّ القرآني نفسه في عمل هو الأقرب منهجاً إلى ما عُرِف بتفسير القرآن بالقرآن؛ إذ الفرض الأول للتفسير أن نفهم كلام الله بوساطة كلام الله نفسه؛ لا بأمر آخر غيره، وهو ما نطقت به الآيات القرآنية، والأحاديث الشريفة وأقوال المتقدّمين من الصحابة ومن المفسرين .

والذي نتصوره في تعدد مناهج المفسرين واختلاف تفسير الآيات هو خضوع تلك المناهج ومن ثمّ علم التفسير لآليات من خارج القرآن؛ وهو أمر لا يخلو من محاولة إخضاع النصّ القرآني لطائفة من الاعتقادات المذهبية، والأيديولوجية، التي يؤمن المفسِّر بها؛ ولم نجد منهم من استفرغ الوسع لنفسه فنزع عنها تلك الاعتبارات المسبقة وما ورثه من أحكام من قبل أن

يبدأ بالتفسير !،ثمّ وضع لنفسه الحدود التي يسير عليها ليتمّ له تنفيذ ما جاء من أنّ القرآن يفسِّر بعضه بعضاً.

ولعل المشكلة الأكبر التي تواجه المفسّر تتمثّل من وجهة نظرنا في عملية التفسير بوصفها عملية لغوية واضحة لسعيها نحو المعنى المراد من الآية، ومن النصّ؛ إذ القصد منها هو الوصول إلى الدلالة الشرعية التي أراد الله تعالى إبلاغها عباده. وعلى ذلك فالتفسير علم يدرس الكلام (كلام الله في القرآن) للكشف عن دلالته؛ وتلك هي المشكلة؛ لأنّ التفسير خضع بهذا لعلم آخر هو علم العربية وقواعده،،هو علم نشأ في ظلّ تصوّرات بشرية، مادة وتحليلاً ، وفيه مساحة واسعة لتعدّد وجهات النظر في فهم ظواهركلام العرب؛ ولا ضير من اختلافها وتعارضها ،وقد عبّر الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت١٧٠ هـ) وهو أبرز علماء العربية عن ذلك عندما :((**سُئل عن العلل التي يمثّل بها في النحو، فقيل له :عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إنّ العرب نطقت على سجيتها وطباعها،وعرفت مواقع كلامها، وقام في عقولها علله، وإن لم يُنقل ذلك عنها واعتللتُ أنا بما عندي أنه علّة لما عللته منه، فإن أصبت العلة فهو الذي التمست، وإن تكن هناك علة له، فمَثَلي في ذلك مَثَل رجلٍ حكيم دخل داراً محكمة البناء؛ عجيبة النظم والأقسام؛ وقد صحت عنده حكمة بانيها بالخبر الصادق أو بالبراهين الواضحة والحجج اللائحة، فكلما وقف هذا الرجل في الدار على شيء منها،قال:إنما فعل هذا هكذا لعلة كذاو كذا، ولسبب كذا وكذا؛ سنحت له وخطرت بباله محتملة لذلك، فجائز أن يكون الحكيم الباني للدار فعل ذلك للعلة التي ذكرها هذا الذي دخل الدار، وجائز أن يكون فعله لغير تلك العلة؛ إلا أن ذلك مما ذكره هذا الرجل محتمل أن يكون علة لذلك، فإن سنح لغيري علة لما عللته من النحو هو أليق مما ذكرته بالمعلول فليأت بها))**[١] ويعني ذلك أن كلام الله قد فهم في ظلّ قواعد لغوية، ومعجمية،وصرفية، وصوتية، ولهجية، وبلاغية، ومعها كل ما ينال هذه القواعد من نقد، ونقص في الاستقراء وشوائب العصبية، ونحو ذلك من العيوب مالا ينسجم مع أوصاف القرآن، وهدفه الرامي لهداية البشرية وهو كلام الله المتعالي عن أي عيب. مع ملاحظة أنّ علم التفسير قد ارتكز على كلام العرب، ولم يرتكز على كلام الله في القرآن، ولا على كلام رسوله(صلّى الله عليه وآله) وهوأبلغ من نطق بالضاد، ومهما قيل خلاف ذلك فإنّ نظرة سريعة إلى مؤلفات علم العربية تؤكّد أنهم لم يستشهدوا،بل لعلهم منعوا من الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية[٢] إلاّ نزراً قليلاً يمكن الاستغناء عنه؛ ولا تنتقض لذلك أي قاعدة لغوية.

يضاف إلى ذلك أنهم مع الإقرار بإعجاز القرآن البياني، وما يتضمن ذلك من إبداع القرآن تركيبات لغوية أتاحتها له قدرته في الإفادة من اللغة بأعلى درجات تعبيرها، ممّا هو غير معهود لدى متكلمي العربية في وقته ولا بعد نزوله؛ لهذا تبرز الحاجة إلى بذل الجهد في تقديم منهج جديد لتفعيل السمة البارزة في النصّ المقدّس، وهي كونه كلاما يفسِّر بعضه بعضاً، ثمّ إنّ

الصيغة التدوينية التي انتهى إليها القرآن؛ تتيح للمتلقي الواعي أن يتعامل مع النصّ على نحو أكثر جدوى مما لو كان النص غير مكتوب، أو أنّه مكتوب بلغة اندثرت.

يجب أن ينظر هذا المنهج إلى القرآن الكريم بوصفه منجزاً إلهيّاً وإبداعاً فاق كل القدرة البشرية ووصل إلى منزلة الإعجاز، وبهذا يتجاوز في بحثه إخضاع القرآن لعلم اللغة ووجهات نظر علماءه؛ ويقود هذا النظر إلى وضع قواعد وأصول خاصة بلغة القرآن، ولا تكون تلك القواعد والأصول إلاّ من داخل المدونة (القرآن) نفسها، وتسلك الألفاظ في الجانب الدلالي من هذه القواعد والأصول مسلك **الوحدات الدلالية الصغرى** أي أصغر ما يمكن إدراك معناه من النصّ القرآني.

ومن الافتراضات الأولية للمنهج أنّ دلالة الصوت لن تدخل في المرحلة الأولى من البحث عن الدلالة القرآنية، فاللفظة المفردة أول ما يدرك من الخطاب وعليها تُؤسَّس بقيّة الدلالات ومن ثمّ الانطلاق نحو هدف أسمى هو وضع تفسير كامل للقرآن مرتكز كله على ما سيتمّ بيانه من معالم منهجية للمنهج المقترح، ويكون ذلك التفسير تفسيرا للقرآن بالقرآن؛ وتكون لغة القرآن فيه هي السبيل الذي يأخذ بأيدينا نحو الكشف عن معالم هذا المنهج؛ وفي سياق تعضيد هذا التوجه نحو النص يرد قول د.الجواري في مقدّمة كتابه (نحو القرآن):((**وتلك لعمري أدنى الأساليب العلمية في البحث أن يأتي الباحث النص، وهو لا يحمل في فكره وفي تصوّره صورة تخيله لما ينبغي أن يكون عليه؛ كالذي يصنعه دارس الهندسة حين يتخيّل الشكل كما ينبغي أن يكون لا كما هو كائن، فيرسم له بالنقط المنفصل بعضها عن بعض، تكملة لهذه الزاوية أو تلك وإضافة فوق هذا الخط أو توجيها لجهته ونحو ذلك ممّا ييسّر عليه حلّ المشكلة أو تبيين أوجه الحل فيها**))[٣].

يظهر أن الذي طرحه الجواري في نصه المتوجّه نحو التركيب الجمليّ للقرآن قريب من قولنا: أن يتمّ النظر إلى القرآن الكريم بوصفه مدوّنة تدعو من أراد فهم محتواها إلى أن يفهمها بما تقدّمه هي له الأمر الذي يمكّنه من رسم معالم الطريق الذي يجب عليه أن يسلكه؛ ولعمري إنّ هذا الأمر مما يسلك بالباحثين نحو الطريق الأسلم لفهم النصوص كلها، والأحرى بأن يُتّبع مع كتاب الله؛ بخاصة بعد أتفاق أتباعه على أنه كتاب يفسّر بعضه بعضا.

علم التفسير:

عرف بعض علماء التفسير التفسير بأنّه:((**علم يبحث فيه عن أحوال القرآن المجيد من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية**))[٤] ، فالتفسير يعمل على إظهار الدلالة القرآنية للألفاظ التي استعملها القرآن الكريم ثمّ ما يترتب عليها من مقاصد آياته وسوره؛ بما تتيحه القدرة البشرية من إدراك؛ اذلايمكن القطع بالوصول إلى المعرفة الكاملة التي أرادها الله تعالى من خلال هذا التفسير؛إلاّ ما كان نصّاً ثابتاً ممن أعطاه الله معرفته وهو رسول الله(صلّى الله عليه وآله)؛قال

تعالى:(**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ* بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**)(النحل٤٣ - ٤٤)وهو أمر ليس بالهين الوصول إليه بعد كلّ هذه السنين؛ وبخاصة ما وصل إليه المسلمون من الإختلاف في تفسير كتاب الله والإختلاف في طريق الوصول الى علم رسوله وبخاصة مع وجود بعض الأحاديث التي تخص أهل بيت رسول الله(صلّى الله عليه وآله) بخاصيّة عدم الإفتراق عن القرآن وخصّوا بعلم القرآن بعد جدّهم المصطفى(صلّى الله عليه وآله)؛وعلى العموم كانت بعض الأحاديث قد أشارت إلى سعة القرآن وعجز الطاقة البشرية المتعارف عليها عن الإحاطة به من نحو قول الإمام علي(عليه السلام) في صفة القرآن: ((**...وبحراً لايدرك قعره...**))[٥]، وقوله أيضاً: ((**ظاهره أنيق وباطنه عميق...**)) و((**لا تنقضي عجائبه..**))[٦] وغيرها؛ فذلك كلام الله؛ وفي الحديث النبوي عن أبي سعيد الخدري قال: ((**قال رسول الله** (صلى الله عليه وسلم): **فضل كلام الله عز وجل على سائر الكلام كفضل الله على غيره**))[٧].

وقد نزع بعض المختصين إلى تقديم مفهومه للتفسير من خلال جانبين هما : تفسير اللفظ ،و تفسير المعنى؛ فـ((**تفسير اللفظ عبارة عن بيان معناه لغة ،وأما المعنى فهو :تحديد مصداقه الخارجي الذي ينطبق عليه ذلك المعنى**))[٨] ؛وعلى هذا فإنّ السعة والعمق لا تكونان في الجانب اللغوي الذي يمكن الإحاطة به ، بل في تفسير المعنى الذي يحتاج فيه إلى ملاحقة مستمرة لمصاديق الآيات التي تتّسع للإمتداد الزمني عبرالقرون؛وبهذا فإنّ النصّ القرآني المحدود كتابياً تجاوز لحظات نزول آياته إلى أن يشتمل الحياة إلى انتهائها.

وفي الحق إنَ مثل هذا المنحى عند اِتّباعه لفهم المعنى ليس تفسيرا ًللقرآن بل هو توظيف لما تمَ فهمه من الآيات القرآنية، ومقاصدها لتنطبق على جزئيات الحياة غير المحدودة،وهي أحداث تقع خارج القرآن فبالأحرى ألاّيطلق عليها التفسير؛ لأنَ التفسير عمل لغوي مؤسس على عمل لغوي سابق هو النص القرآني .

زيادة على ذلك يتجاهل هذا التفسير ذكر الكيفية التي يتمّ بها إظهار تفسير الآيات لغوياً (المعنى اللغوي) الذي يُستقى من المعاجم اللغوية التي يلاحظ كونها لا تقتصر على المعنى اللغوي، وهو في الغالب متعدّد، ويختلط المعنى اللغوي فيها مع معانٍ أخرى غير لغوية. ثمّ عدم دقته لتجاهله في كثيرمن الأحيان السمات التي تحملها كل لفظة.

زيادة على أنّ هذا الطرح لتفسيرالقرآن تتسم منهجاً أسس على اعتبارات من خارج النصّ القرآني مثلما هوالحال في كثيرمن الأطروحات التفسيريّة والمناهج التي تخضع القرآن لمسبّقات عقائدية وأخلاقية ولغوية وبلاغية وأصولية؛ لذلك فالمنهج الصحيح ينبغي أن يظهر معالمه (أي: خطوات تنفيذه) عبر توجهه نحو الآيات القرآنية؛ ومن ثَمَّ وصفه بكونه منهجاً للتفسير ينبع من

النصّ الذي يعمل على تفسيره وإلاّ فهو منحى يتعامل مع النص الإلهي مثلما يتعامل مع أيّ نص آخر؛ وهو يخضع لمسبّقات .

يشمل هذا النقد معظم المناهج التفسيرية، ويضاف عليه أنّ التفسير يحمل مع اللفظة كلّ ما تحمله دلالاتها من ظلال تتعلق بمواضع استعمالاتها في كلام العرب ،فلا مزية للنصّ المقدّس المعجز على أيّ نصٍ يراد فهمه، ولهذا نرى أنّ الدقة في الاستعمال القرآني للفظة دون أخرى قريبة منها اختفت ؛إذ كثيرًا ما يفسرون معنى لفظة بلفظة أخرى فلا خصوصية عندهم لتلك على هذه .

إنّ تفسيرآيات القرآن الكريم الذي هوالكشف والإبانة عن دلالة ألفاظها، يجب أنّ يتأسس على كون القرآن نصا لغويا مدوناً محدداً بدفتيه ينفتح على المتلقي بألفاظه وترابطها أي: **(تعلق بعضها ببعض في داخل السياق اللفظي الذي تكوّنه تلك الألفاظ في داخل المدوّنة).**

ممّا مرّ نرى أنّ تحديد الجوانب العامة لانفتاح النص الإلهي على المتلقي ينجز على النحو الآتي :

١- إنّ النص القرآني مؤلّف من وحدات لغوية صغرى هي: (الألفاظ)، وهذه الألفاظ هي ممّا كان متداولاً عند العرب، ولهذه الألفاظ معانٍ معروفة عندهم، وهي معانيها اللغوية المتداولة. والسؤال الذي يفرض نفسه ههنا هو: هل استعمل القرآن تلك الألفاظ بمعانيها المتداولة في تلك الحقبة أم أنّه عمد إلى معانٍ أخرى خاصة تتيحها سمات تلك الألفاظ فوظّفها في مدونته ؟.

٢- ويمكن صياغة السؤال الآنف الذكر كما يأتي :هل خضع النصّ المقدّس للغة وطاقتها التعبيرية المعروفة أم أنّه أخضعها له فأبدع بنظم ألفاظها التي انتقاها وأضفى دلالاتٍ أرادها تستطيع تلك الألفاظ أن تقوم بها و يتقبّلها العرف أو المعهود اللغوي عند أبناء العربية ؟. ويترجح لي ههنا الشطر الثاني من السؤال ، ولعل في انبهار عرب الجاهلية سواء من آمن منهم، ومن لم يؤمن[٩] بالقرآن يعدّ دليلاً على قدرة هذا النص للإخضاع اللغة، واستثمار إمكانياتها .

٣- زيادة على ما تقدّم نرى بروز مظهر التحدي القرآني أن يؤتى بمثله أو ببعضٍ ممّا فيه ويدعونا ذلك إلى القول بأنّ توظيفاً جديداً للألفاظ تمّ في هذه المدوّنة الإلهية ويرتكز هذا التوظيف على دلالات الألفاظ وأبنيتها وقد قال **تعالى:(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)**(إبراهيم : ٤

٤- إنّ الأمر الّذي نتصوّره في هذا الجانب أنّ الدلالة القرآنية دلالة خاصة يجب علينا السعي للكشف عنها والوصول إليها. ومهما كانت هذه الدلالة سواء اتفقت مع الدلالة اللغوية أم لم تتفق ؛فإنّ معرفتها ستوضّح لنا جدارة القول بتوظيف جديدٍ للألفاظ العربية داخل المدوّنة الإلهية .

٥- ينبغي لنا لأجل الكشف عن دلالة الألفاظ القرآنية التوجّه إلى وضع معالم منهجية وأسس عملية تمكننا من تحصيلها.

٦- الافتراض المقدّم هنا أنّ المنهج لابدّ من أن يكون مؤسسا على مفهوم الهداية الى الطريق الأقوم الذي جاء به القرآن كما هو صريح الآيات الآتية، قال تعالى:

= (**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْعَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ اليسر ولا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلى ما هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**)(البقرة:١٨٥)

= (**أُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آَلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ**) (الأنعام: ١٩)

= (**إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا**)(الإسراء: ٩)

= (**إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ*وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**)(النمل:٧٦– ٧٧)

=(**[قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ**)(الأحقاف:٣٠).

تفترض هذه الآيات كون القرآن ميسّرا للفهم والإدراك؛ لأجل تحقيق أهداف القرآن في هداية الأفراد والاحتجاج عليهم.ولامجال في هذا للقول بأنه لايمكن الإحاطة بدلالة الآيات القرآنية ودلالة ألفاظها، خاصة مع ما نرى من الدعوة إلى التدبّر، وذم تركه، وهي دعوة في مقام التحدي كما نجدها في قوله تعالى :

= (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**)(النساء:٨٢).

= (**يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**)(محمد: ٢٤).

وجاء في بعض الآيات الدعوة إلى التذكّر:

= (**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآَنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا**)(الإسراء: ٤١) .

= (**وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآَنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ* قُرْآَنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**)(الزمر: ٢٧ – ٢٨).

على هذا سيكون النظر إلى هذه المدوّنة وألفاظها من الجانب المذكور في النقطة التالية .

٧- إنّ هذه المدوّنة متكاملة دلالياً من كلّ جوانبها ولا تشتمل على أيّ عيب ٍأو نقصٍ أوتناقضٍ أو اختلافٍ .ويعني وصفها (متكاملة دلالياً) وضوح المراد عند المتلقي.

٨– إنّ التحدي في بعض الآيات وكون القرآن منزلاًمن الله تعالى ودعوته المعترضين أن يأتوا بمثل القرآن أو ببعض منه(عشرسورمن مثله، أوسورة من مثله)[١٠] يدلّ ضمناً على أنّ لكل سورة من السور وحدةً موضوعية أو وحدة بنائية تضمّ جميع آياتها، وهي لا تلتبس مع غيرها من السور ؛ لذا فلكلّ سورة نظام هيكلي تتمثّل به يُمكّن هذا النظام المتلقي من إدراك الحدود والفواصل لكلّ سورة .

علماً أنّ الذي شاع في هذا المجال هوافتقار سورالقرآن لتلك الوحدة ، بل إنّ بعضهم استند إلى أنّ البسملة هي المحددة لبداية السورة أو نهايتها .وقد أدّى عدم وجود البسملة في سورة التوبة إلى قول بعضهم أنها والأنفال سورة واحدة[١١]. وسيحاول البحث في مراحله التطبيقية في المستقبل أن يقدّم ما يظهر الحدود الهيكلية والدلالية للسور القرآنية؛ زيادة على أنّه سيجري توظيف السياق اللغوي للسورة توظيفا فاعلاًعند ذكر معالم المنهج المقترح لتحديد الدلالة القرآنية للفظة أو للتركيب.

٩- يُلحظ أنّ هذه الدلالة في مراحلها الأولى احتاجت إلى التبيين ، ولاسيّما مع اقترانها بسبب النزول؛ قال تعالى(**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا*ولا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا**) (الفرقان: ٣٢- ٣٣) وقام بالتبيين رسول الله (صلى الله عليه واله) فهو أوّل المفسرين وعمادهم. وتدلّ الآيتان الآتيتان على أنّ الله تعالى اختصّ رسوله الكريم ومن سمّاهم (أهل الذكر) بتفسير القرآن وبيان آياته والآيتان هما:

= قال تعالى: (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**) (النحل:٤٣- ٤٤).

فلفظة (الذكر) تدلّ على أن الله أنزل على رسوله ما كان بمنزلة التفسير للقرآن أو نحو ذلك فيه تبيين (تفسير) ما نُزّل للناس! وقد نُزّل إليهم القرآن الكريم كما هو واضح، بخاصة أنّ لفظة الفعل(نُزّل) وردت في مواضع أُخرى مقترنة بلفظة القرآن كما في الآية السابقة (الفرقان٣٢) وفي الآيات:

= قال تعالى: (**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**)(الزخرف: ٣١)

= قال تعالى: (**نَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا**) (الإسراء: ٨٢)

= قال تعالى:(**إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآَنَ تَنْزِيلاً**) (الإنسان:٢٣)
= قال تعالى:(**وَقُرْآَنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا**)(الإسراء: ١٠٦)

إذ يلاحظ أنّ هذه اللفظة(أعني: نُزِّل) عندما تكون متعلقة بالشخص المرسَل يؤتى بعدها بحرف الجر(على)، وإذا لم يكن ذلك يُأتى بالحرف (إلى) للدلالة على الغاية التي يكون لأجلها أنزال القرآن.

وورد في بعض الأحاديث النبوية ما يعضّد إنزال ما فيه تفسير القرآن ؛ ذلك قوله(صلى الله عليه وآله) :(**أُوتيت القرآن ومثله معه**)[١٢] ، فمع القرآن مثل القرآن منزل معه؛ ولا دليل على أنّ المعنيّ به السنة على ما فهم الشافعي والسيوطي من هذا الحديث، وهو ما يشترك معهم فيه الكثيرون ؛ ويرجّح لي القول إنّ الحديث فيه ما يدلّ على وجود ما يمكن أن يكون تفسيراً للقرآن على نحو مستقل، أُنزل مع القرآن خاصّ برسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ ويفهم هذا الاختصاص برسول الله من دلالة الفعل (أُوتيت) بإسناده إلى تاء المتكلم ؛ أما أن يشير ذلك إلى الأحاديث القدسية، فهو بعيد إذ لم تكن بذلك الحجم الذي يماثل القرآن كما أنها لم يكن لها جانب واضح في مجال التتشريع ، بل أغلبها يتعلق بالثواب والعقاب والأخلاق.

وكان من المؤمّل أنّ تكون لدينا من أحاديث رسول الله (صلى الله عليه وآله) ما يفسّر القرآن كلّه، وهو ما يفتقر إليه سائر المسلمين ولا سيّما أهل السنّة، فيما كان عند الشيعة أوسع لأخذهم عن العترة، خاصة عن الإمام عليّ[١٣]وحفيديه الإمامين محمد الباقر وجعفر الصادق.ولعل فيما روي في المصحف الذي كان يكتبه الإمام عليّ (ع) ،انه يضمّ إلى جانب الآيات قسما مستقلاً يضمّ تفسير الآيات مما أخذه عن رسول الله (ص) مصداق أن يكون التفسير مما أنزل مع القرآن؛ ولاسيما أن الأحاديث الشريفة خصت الإمام عليّ(عليه السلام) بمعرفة تفسير القرآن على نحو لا يلحقه فيه لاحق.

تفسير القرآن بالقرآن:

برز تفسير القرآن بالقرآن ،أي تفسير الآيات القرآنية بآيات قرآنية أُخرى بوصفه جزءاً من مناهج تفسير القرآن،وقد عبّر بعض الباحثين عن هذا المنحى من فهم القرآن بقوله :((**بأنّه مقابلة آية بالآية وجعلها شاهداً لبعضها على الآخر ليستدلّ على هذه بهذه لمعرفة مراد الله تعالى من قرآنه الكريم**))[١٤].من الملحوظات المهمة ههنا كون النماذج المقدّمة في الأحاديث لهذا المنحى من التفسير قليلة بل تكاد تكون نادرة؛ ويمكننا أن نتبيّن من هذا القليل بعض الملامح على تسند منهجنا المقترح للكشف عن الدلآلة القرآنية للألفاظ؛ من ذلك ما جاء عن رسول الله (صلى الله عليه

وآله) عند بيانه لدلالة لفظة (ظلم) الواردة في قوله تعالى :(**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**)(الأنعام:٨٢).فهو بدلالة (الشرك)

جاء في قوله تعالى[**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**) (لقمان: ١٣) ومن ذلك ماورد عن سبط الرسول الأكرم الحسين(عليه السلام)، وفي مصادر أخرى عن أخيه الحسن (عليه السلام) عندما سُئل عن اللفظتين في الآية (**وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ**) (البروج:٣)[١٥]، فذكر أنّ الشاهد هو رسول الله (صلى الله عليه وآله)والمشهود يوم القيامة وجاء بالآيتين قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا**)(الأحزاب: ٤٥)، وقال: (**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ**) (هود ١٠٣).

ومّما ورد عن أهل بيته في اتباع طريقة تفسير الآية بآية أخرى ما جاء عن الإمام جعفر الصادق في تفسير لفظة الغيب من قوله تعالى(**الم* ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ* الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**)(البقرة:١-٣) قوله:((**المتقون شيعة علي والغيب هو الحجة** (يعني المهديّ الموعود)، **وشاهد ذلك قوله** تعالى:(**وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ**) (يونس:٢٠). **وعن رسول الله**(صلى الله عليه وآله): **طوبى للصابرين في غيبته، طوبى للمقيمين على محبتهم أولئك من وصفهم الله في كتابه فقال:(الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**)(البقرة:٣)،**وقال:(أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**)(المجادلة: ٢٢))[١٦] . فالغيب هو آية من ربّه ودلالتها على الشخص الذي يحتّج الله به على عباده وتصديق ذلك أيضا بقوله تعالى:(**وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ**)(المؤمنون:٥٠)؛ فالغيب إذن هو الإمام المهدي خليفة الله وحجّته في آخر الزمان.

وبصدد تعضيد هذا المنحى من تفسير القرآن، وفهم دلالات ألفاظه وأنه كان متداولاً في العصر الإسلاميّ الأول، أو له من الاعتبار الشيء الذي يجعله طريقة للمحاججة مع الخصم، من نحو الذي جرى لفهم بعض الآيات في توظيف سياسي للخليفة الذي لم ما يحتج به لخلافته إلاّ كونه من المهاجرين فقد ((**احتجّ أبو بكر على الأنصار يوم السقيفة بقوله:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**)(التوبة:١١٩) **وفسّر الصَّادِقِينَ في هذه الآية بالمهاجرين بقرينة قوله** تعالى: (**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**)(الحشر:٨) **وذلك في سياق تفضيله للمهاجرين على غيرهم ليمكن لنفسه من القول بأنّ الخليفة يجب أن يكون من المهاجرين لا من الأنصار))**[١٧].

وجاء عن الرسول الأكرم قوله:**((إنّ القرآن لم ينزل يكذّب بعضه بعضاً،بل يصدِّق بعضه بعضاً فما عرفتم منه فأعملوا به، وما جهلتم منه فردّوه الى عالمه))**[18] وورد عن عليّ أمير المؤمنين في سمات النص الإلهي قوله: **((كتاب الله تبصرون به، وتنطقون به، وتسمعون به وينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض.لا يختلف في الله، ولا يخالف بصاحبه عن الله)).**[19]

فوصف القرآن أنّه (لم ينزل يكذّب بعضه بعضاً)، و(ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض) يظهر سمة من سمات هذه المدوّنة الإلهية الضامّة لكل الآيات وهي أنّ المتلقي لا يحتاج لإدراكها وفهمها الى غيرها. فمن عرف كيفية السير في هذا الطريق اكتفى به لفهم آيات هذه المدونة؛ وإلا فإنّه يتوسل الى ذلك بغيره بعترة النبيّ الثقل الأصغر(على ما في حديث الثقلين) وما أثرعن الرسول(صلى الله عليه وآله)من غير هذا الطريق .

وعلى الرغم من هذه الصفة الثابتة للقرآن إلا أننا من النادرأن نجد عند المفسرين توظيفاً لمنهج يقوم على تفسير القرآن بالقرآن؛ بل لم نجد من حاول أن يضع موازين محددّة لهذا المنهج؛ زيادة على كون الروايات في هذا الجانب قليلة بل نادرة كما سبق أن ذكرت؛ و لعلّ الأحاديث التي تذكر صفات القرآن وقائله أكثر من تلك التي تظهر كيفية فهمه، ويبدوأنّ التفسير سارعند كثيرمن المفسرين نحو الابتعاد عن هذا المنحى إلى اعتماد الرأي في التفسير؛ فبرز ما سمّي التفسير بالرأي، على الرغم من نهي طائفة من الأحاديث عن أن يفسّر القرآن بالرأي.

وكان الطباطبائي قد ألمح إلى أنّ التأسيس المنهجي لتفسير القرآن ينبغي وضع معالمه من خلال الارتكاز على الآيات بالمنزلة الأولى، وعلى الآثار المنقولة عن النبيّ وأهل بيته بالمنزلة الثانية، وذلك بقوله:**((وقد تبيّن أن المتعيّن في التفسير الاستمداد بالقرآن على فهمه وتفسير الآية بالآية وذلك بالتدرب بالآثار المنقولة عن النبي وأهل بيته (صلى الله عليه وعليهم) وتهيئة ذوق مكتسب منها ثم الورود))**[20] ، إذ يتضح أنّ العلاّمة يرى أن القرآن هو الأول في أن يمدّنا بفهم آياته وأن يفسر الآيات ببعضها ، ويرى أن يكون ذلك بالتدرب عما جاء عن أهل البيت (ع) ي ذلك، وقد أورد العلاّمة رأيه هذا في أثناء تناوله لحديث الثقلين الآمر بالأخذ عن القرآن وأهل البيت حصراً ،يقول الطباطبائي في هذا الحديث: **((...فيجعل الحجية لهما معا فللقرآن الدلالة على معانيه والكشف عن المعارف الإلهية ولأهل البيت الدلالة على الطريق وهداية الناس إلى أغراضه ومقاصده))**[21]

فالطباطبائي يعطي حصراً واضحاً لمنهج التفسير؛ بتفسير القرآن بالقرآن وأنّ النصّ الإلهي كفيل بإظهار معانيه ،و للوصول إلى هذه المرحلة يجب التدرّب على ذلك بما ورد من الأحاديث التي تفسر الآية بآية أخرى. إنّ ما ذكره العلاّمة الطباطبائي يُساندنا في سعينا في هذا البحث نحو وضع المعالم المنهجية للكشف عن الدلالة القرآنية للألفاظ عن طريق النظر الى الآيات وحدها

وهو قريب ممّا أشرنا إليه من التأسيس على كون القرآن مدوّنة مستقلة، وهي متكاملة الدلالة كما سيأتي بيانه .

يضاف على ذلك الأحاديث التي تجعل القرآن الكريم المعيار الذي به يقبل الحديث وبه يرد؛ وهي أحاديث العرض على القرآن الأمر الذي يقضي كون آياته واضحة وميسّرة للفهم لا للإحتمال وتعدّد الآراء؛ وبذا فإنّ فهم القرآن بالقرآن هو المقدم ؛ وممّا جاء في ذلك قول رسول الله (صلى الله عليه وآله):((**أعرضوا حديثي على كتاب الله فإن وافقه فهو مني وأنا قلته**))[٢٢]. وعن طريق أهل البيت قوله (ص) فيما رواه السكوني عن الإمام جعفر بن محمد: ((...**قال رسول الله** (صلى الله عليه وآله) : **إن على كل حق حقيقة ، وعلى كل صواب نورا ، فما وافق كتاب الله فخذوه ، وما خالف كتاب الله فدعوه**))[٢٣].قال صاحب البحار:((**وقد روى عين هذا الاثر عن عليّ وقول الباقر وابنه الصادق لبعض أصحابهما:لا تصدق علينا إلاّ بما يوافق كتاب الله وسنة نبيه. وقول الصادق: ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف، وقوله: كل شئ مردود إلى الكتاب والسنة، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف، وقوله: ما أتاكم عنا من حديث لا يصدقه كتاب الله فهو باطل** ، **وقوله**(عليه السلام) **إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله أو من قول رسول** الله(ص) **وإلاّ فالذي جاءكم به أولى به .وقوله لمحمد بن مسلم : يا محمد ما جاءك من رواية من برّ أو فاجر يوافق القرآن فخذ به ، وما جاءك من رواية من بر أو فاجر يخالف القرآن فلا تأخذ به**))[٢٤] ،وقوله: وعن ابن أبي يعفور قال: **((سألت أبا عبد الله** (عليه السلام) **عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به ، ومنهم من لا نثق به ، قال : إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله أو من قول رسول الله (ص) وإلا فالذي جاءكم به أولى به**))[٢٥] .

ترد في هذاالسياق أحاديث عدّة نذكرمنها ماجاء في بعض خطب عليّ في الدعوة الى تحكيم القرآن واتهام الأراء قبل عرضها عليه إذ قال:((**ألا إنّ كل حارث مبتلى في حرثه وعاقبة عمله غير حرثة القرآن فكونوا من حرثته وأتباعه واستدلوه على ربكم، واستنصحوه على أنفسكم، واتهموا عليه آراءكم، واستغشوا فيه أهواءكم**))[٢٦]

فهذه الكلمات واضحة في الاعتماد على دلالات القرآن الكريم، لا بل يجب طلبها فهي المعيار لبقية المعارف والدلالات، زيادة على ذلك فإنّ هذه الأحاديث تفيد أنّ المنحى الدلالي الذي نحاه القرآن الكريم يُعدّ متفرِّداً يمكن إدراكه أو تحصيله؛ ومخالفة معنى الحديث لمعنى من القرآن يعني خروج ذلك الحديث عن الاعتبار لمخالفته القرآن . وسواء في هذا الأمر ما يفهم من المعنى العام للحديث أوما يفهم من دلالات ألفاظه المفردة التي أهملها العلماء، واقتصروا على المعنى العام ما بين الحديث والآية؛ في حين أنّ بحثنا يعتمد أوّلاً العرض من خلال دلالة الألفاظ؛ وهي الملاحظة الأكثر أهمية التي يشير البحث إليها ههنا عبر المنهج المقترح، ويكفي في هذا المجال وجود تلك اللفظة في الحديث؛ ليتم فهم دلالتها بموافقتها الدلالة القرآنية أو عدم موافقتها .

ويبيّن عرض الأحاديث أو محاكمتها في ظل الاستعمال القرآني أنّ الرسول الأكرم(ص) وأهل بيته(ع) يتوسّمون معالم القرآن في كل جانب من جوانبه: العقائدية والتشريعية والأخلاقية ومنها الجانب اللفظي، وتحديداً الجانب الدلالي؛ فالألفاظ التي يستعملونها في كلامهم هي بالدلالة عينها التي جاءت بها في القرآن والأحرى أن يقال أنّ اللفظة القرآنية ترد عندهم بنفس دلالتها القرآنية، ولن يخرجوا عن هذا الاستعمال؛ مايظهر ذلك هيمنة كاملة للدلالة القرآنية على ما نطق به رسول الله (صلى الله عليه وآله)ما تعضّده الآية: (**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى*إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى*عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى**)(النجم:٣ -٥). ويعني ذلك أنّ امتداداً دلالياً ولفظياً سيكون للقرآن داخل الأحاديث، فنحن بصدد مدونة بمستويين هما: القرآن، والأحاديث النبوية الشريفة، ويدخل في ضمن ذلك ما يروى عن عترته أهل بيته. وسيكون استعمالهم الألفاظ القرآنية طريقاً ثانياً لمعرفة دلالاتها بعد الطريق الأوّل، وهو القرآن نفسه، والطريق الأول هو ما نسعى إليه في بحثنا هذا بوضع معالم منهجية لتفسير القرآن بالقرآن[٢٧].

الدلالة القرآنية :

إنّ المنحى الذي ينطلق منه تفسير القرآن بالقرآن يقدّم لنا تصوّراً تجاه القرآن بوصفه مدّونة متكاملة الدلالة سمّاها بعض الباحثين بـ(الوحدة البيانية للقرآن) وهي:((**النظر إلى القرآن الكريم كوحدة لفظية وكلامية بحيث لا يمكن أن نفهم فقراته إلا من خلال النظر إلى جميع أبعاد وجوانب هذه الوحدة اللفظية وكذلك إلى جميع فقراته**))[٢٨] .الملاحظ ههنا أن آيات متعدّدة نصّت على أن الباحث(المتدبّر) يمكن أن يصل إلى معارف القرآن ودلالاته عبر التأمل في آياته وتدبّرها؛ ولعل أوضح المواضع التي تظهر فيها المدونة القرآنية متكاملة الدلالة أو موصوفة بكونها وحدة بيانية-ما جاء من قوله تعالى(**أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**)(النساء:٨٢)، وقوله تعالى : (**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُها**)(محمد:٢٤) فالآيتان تدلّان دلالة صريحة على مقدرة المتلقين للوصول الى دلالات القرآن ومقاصد آياته من غير وساطة؛ إذ إنّ الآية دعوة في مقام التحدي لإظهار كون القرآن من الله تعالى. فالنصّ القرآني مستغنٍ بنفسه عن الحاجة لبيان دلالاته؛ فهو نصّ محكم البناء، لاعوج فيه سواء على مستوى الألفاظ أم على مستوى ما يشتمل عليه من عقائد وأحكام وغيرها .

ومن ههنا يمكن أن تفسّر ندرة الأحاديث التي تفسّر آيات القرآن؛ فما دام فهم آيات القرآن متيسّرا لمن أراد ذلك، وكان له حظّ من العلم، فلا ضرورة لتفسيرها كلّها ؛وقد نحت بعض أحاديث أهل البيت الى بناء منهجية لفهم القرآن منها ماجاءعن الباقر(عليه السلام) بقوله: ((**جاء رجل إلى أبي جعفر(الباقر) بمكة فسأله عن مسائل فأجابه فيها ، ثم قال له الرجل : أنت الذي تزعم**

أنه ليس شئ من كتاب الله إلا معروف ؟ قال: ليس هكذا قلت، ولكن ليس شئ من كتاب الله إلا عليه دليل ناطق عن الله في كتابه ، مما لا يعلمه الناس ، قال : فأنت الذي تزعم أنه ليس من كتاب الله إلا والناس يحتاجون إليه ؟ قال : نعم ، ولا حرف واحد فقال له : فما (المص) قال أبو لبيد : فأجابه بجواب نسيته.فخرج الرجل فقال لي أبو جعفر(عليه السلام**): هذا تفسيرها في ظهر القرآن أفلا أخبرك بتفسيرها في بطن القرآن ؟ قلت: وللقرآن بطن وظهر؟ فقال: نعم إن لكتاب الله ظاهرا وباطنا ، ومعاني وناسخا ومنسوخا ، ومحكما ومتشابها وسننا وأمثالا ، وفصلا ووصلا ، وأحرفا وتصريفا ، فمن زعم أن كتاب الله مبهم فقد هلك وأهلك))**[٢٩].

وتسلك آية التدبّر (**النساء ٨٢**) مسلك اللبنة الأساس في هذه المدوّنة الإلهية لبناء معالم منهج دلالة الألفاظ القرآنية فالآية تظهر ما يأتي :

١ – إنّ القرآن ممّا يناله الفهم الاعتيادي؛ فلو لم يكن كذلك لما أمر الله سبحانه الناس بتدبّره، والتأمل فيه لمعرفة الحق. والتأمّل يهدي صاحبه الى كون القرآن من عند الله لا من غيره.

٢ - القرآن الكريم كامل ومتكامل من جميع الجهات لايقبل الاختلاف ولا التغيير ولا التحول ولا النسخ ولا الإبطال ولا التهذيب ولا التكميل، فكل ذلك من الاختلاف المنفي عنه نفياً قاطعاً، ولا يمكن للقرآن أن يقبل أيّاً منها وهو المعجزة الخالدة الباقية إلى يوم القيامة.

٣ – إنّ هذا الكتاب لمّا كان كاملاً من كل جهاته لزم أن يكون نازلاً من عند الكامل الجامع لصفات الكمال الذي لا يتصوّر فيه النقص أبداً، وهو الله تعالى، وغيره قرين النقص والاختلاف؛ فلا يمكن أن يصدر منه ما ليس فيه ، وإنّ الكمال مهما بلغ من الشأن في المخلوق فهو محدود .

٤ – إنّ كتاباً له مثل هذه الخصائص لابدّ من أن يكون مفسِّراً لنفسه ومبيّناً لمعارفه من دون الحاجة إلى غيره؛ إذ لو كان محتاجاً لغيره للزم أن لا يكون التدبّر فيه موصلاً إلى أنّ هذا القرآن من الله بخلاف ما دلّت عليه الآية :((أفلا يتدبّرون القرآن.. النساء: ٨٢)[٣٠]؛ وللزم كون أوصاف القرآن التي جرت على لسان النبيّ (صلى الله عليه وآله) وألسنة أصحابه وأهل بيته اشتملت على المبالغة في الوصف.

٥ – على ما تقدّم سيكون النص القرآني طيّعاً للبحث الدلالي ومتاحا عبر الآيات نفسها لا من خارجها.

٦ - نفي الاختلاف عن القرآن يعني أنّ اللفظة القرآنية ستكون بدلالة واحدة أينما استعملت في القرآن، واختلاف دلالة اللفظة القرآنية بين موضع، وآخر هو من الاختلاف المنفي بصريح الآية.

لقد صاغ القرآن طائفة من الأوصاف الخاصة به تتدرج في تأكيد ما تقدّم وتؤيّد الخطوة المنهجية لفهم الدلالة القرآنية للفظة؛ وتلك الأوصاف تضمنتها الآيات الآتية:

= **(شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)**(البقرة: ١٨٥)

=**(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)**(الإسراء:٩)

=**(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا)**(الإسراء:٤١)

=**(وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ)**(النمل: ٦)

= **(وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ)**(الحجر: ٨٧)

= **(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ* قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)**(الزمر: ٢٧ – ٢٨).

ومن هذه الأوصاف وصف القرآن بالعظيم والمجيد:

= **قال تعالى: (يس*وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ)**(يس:١ – ٢)

= **قال تعالى: (ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ)**(ق: ١)

وهي أوصاف تدلّ على ما ذكرناه فيما سبق وكذلك فيما يأتي من منهجية البحث في الدلالة القرآنية وهي تنظر إلى القرآن بما هو كيان لفظي مدّون الذي هو الآيات القرآنية المكتوبة.

من الجدير بالذكر الإشارة إلى تعلّق البحث الدلالي بالألفاظ هو أهم مجالات البحث الدلالي إذ((**تعدّ الكلمة المفردة أهم الوحدات الدلالية؛ لأنّها تشكّل أهم مستوى أساسي للوحدات الدلالية حتّى اعتبرها بعضهم الوحدة الدلالية الصغرى**))[٣١]، بل إنّ الدلاليين المحدثين يذهبون إلى اختصاص علم الدلالة بدراسة معاني الكلمات[٣٢]، بوصفها المجال المركزي لبقية الدلالات .

٧ – يضاف على ذلك أنّ البحث في الدلالة القرآنية للألفاظ يظهر مستوًى آخر لدلالة الألفاظ العربية؛ وهو مستوى يمتاز من بقية مستويات الدلالة، والأمر الذي يعضّد كون القرآن(مدوّنة) خاصة وإبداع إلهيّ . لذلك فمفاتيح تركيباتها ومقاصد آياتها تأتي من طريق الكشف عن معاني ألفاظها ضمن أطار تلك المدوّنة، أي ما سميناه بـ(غلق المدوّنة).وسيأتي مزيد من التفصيل لهذه النقطة.

٨ – السياق المعتمد في البحث عن هذه الدلالة، يجب أن يكون السياق الذي يمكن إدراكه من هذه المدوّنة؛ لهذا فإنّ الاعتبار سيكون في المنهج المقترح للسياق اللغويّ (اللفظي) من دون سياق الحال أو المقام؛لأنّ السياق اللغوي هو السياق الوحيد الذي تعطيه المدوّنة فهو يصاحبها؛ لأنه وليد ألفاظها فهو سياق داخليّ لا خارجيّ كما هو سياق الحال[٣٣] .

وإذا كانت المدونة القرآنية قد أبرزت تكاملها الدلاليّ من خلال الآيات التي تقدّم ذكرها؛ فهناك طائفة من الأحاديث الشريفة التي اشتملت على معانٍ ومقاصد تسند المعالم المنهجية التي نروم صياغتها لتأسيس منهجنا الذي نسعى إليه، من تلك الأحاديث ما جاء عن الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله):

= **(أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه)**[٣٤] .

= **(أعربوا القرآن؛ فإنّه عربيّ)**[٣٥].

= **(تعلّموا القرآن بعربيته)**؛ [٣٦]يوضح الحديث أنّ فهم القرآن يتمّ من لغته التي أُنزل بها لا من لغة أخرى لن تكون دقيقة في التعبير عن مقاصده .

= وقال(صلى الله عليه وآله) في بعض الآيات[٣٧]معلقاً:**(ويلٌ لمن لاكها بين لحييه ولم يتدبّرها)**[٣٨] .

= **(القرآن هدًى من الضلالة، وتبيان من العمى... ، وبلاغ من الدنيا إلى الآخرة، وفيه كمال دينكم)**[٣٩].

= **(..وهو هدى من الله من الضلالة وتبيان من العمي وإقالة من العثرة ونجاة من الفتنة ونور من الظلمة وشفاء من الأحداث وعصمة من الهلكة ورشد من الغواية وتبيان ما بين الدنيا والآخرة وفيه كمال دينكم....)**[٤٠].

= **(إنّ القرآن يصدّق بعضه بعضاً؛ فلا تكذبوا بعضه ببعض)**[٤١].

= **(ما أنعم الله عزوجل على عبد بعد الإيمان بالله أفضل من العلم بكتاب الله، والمعرفة بتأويله ...)**[٤٢].

= **(إنّ هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعم إن هذا القرآن حبل الله والنور المبين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن تبعه لا يزيغ فيستعتب ولا يعوج فيقوم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق من كثرة الرد...)**[٤٣]

وجاء عن الإمام عليّ (ع) :

= **(سمعت رسول الله**(صلى الله عليه وآله) **يقول: أتانى جبرئيل فقال : يا محمد سيكون في امتك فتنة ، قلت : فما المخرج منها ؟ فقال كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خير، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل...ومن التمس الهدى في غيره أضلّه الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، لا تزيغه الأهواء ولا تلبسه الالسنة، ولا يخلق عن الرد، ولا تنقضي عجائبه، ولا يشبع منه العلماء هو الذي لم تكنه الجن إذ سمعه، أن قالوا:إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد من قال به صدق ...)**[٤٤]

=وجاء في سنن الترمذيّ:(**...أما إني سمعت رسول الله** (صلى الله عليه وسلم) **يقول: ألا إنها ستكون فتنة ، فقلت : ما المخرج منها يارسول الله ؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار يعصمه (كذا)**[45] **الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا يزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا تنقضي عجائبه ، هو الذي لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدى إلى الرشد فآمنا به ، من قال به صدق...)**[46]

=وفي نهج البلاغة ورد قوله(عليه السلام): (**...واعلموا أنه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة، ولا لأحد قبل القرآن من غنى...)**[47].

= وكان في بعض أجوبته قوله:(**فإياك أن تفسر القرآن برأيك حتى تفقهه عن العلماء، فإنه رب تنزيل يشبه كلام البشر وهو كلام الله، وتأويله لا يشبه كلام البشر، كما ليس شيئ من خلقه يشبهه، كذلك لا يشبه فعله تبارك وتعالى شيئا من أفعال البشر، ولا يشبه شيئ من كلامه كلام البشر، فكلام الله تبارك وتعالى صفته، وكلام البشر أفعالهم، فلا تشبّه كلام الله بكلام البشر فتهلك وتضلّ**)[48].

وفي ضوء هذا الحديث الأخير ولا سيّما قوله: **(ولا يشبه شيئ من كلامه كلام البشر)** يتّضح أننا بصدد دعوة قائمة إلى إعادة النظر في مجمل التحليل اللغوي، والبلاغي، والأدبي والأصولي للغة القرآن ؛ إذ تمّ فهم آيات القرآن عبر معطيات مناهج هي من خارج القرآن وهي مناهج أُجدت لفهم كلام العرب، وطرائق تعبيرها؛ ولم تكن تلك المناهج ومن ثَمّ قواعدها ونظرياتها مقتصرة على لغة القرآن، بل إنّ علماء هذه اللغة عمدوا إلى إخضاع النص الإلهي لما هو أدنى منه، وهي قواعد نصوص بشرية جمعوها في ظلّ استقراء للاستعمال اللغوي الذي لا يمكن أن يكون كاملا، ولو افترضنا أنّه استقراء كامل فلا يغيّرذلك من واقع كون النصّ الإلهي قد أُخضع لقواعد النصوص البشرية التي وضعها علماء العربية؛ على الرغم من معرفتنا بالدعوى الواهية القائلة : بأنّ كلام الله جاء على طرائق العرب في كلامها .وختم الإمام قوله بالتحذير من ذلك (**فلا تشبّه كلام الله بكلام البشر فتهلك وتضلّ)**.

ونحن - إذ نذكر هذا القول - على إدراك تامّ في أنّ القواعد اللغوية وغيرها لم توضع إلا في ظلّ النصّ الإلهي على أنّه جرى صياغتها مستغنية عنه، وقد عبّر العلامة الطباطبائي عن هذا الابتعاد لقواعد علوم العربية عن لغة القرآن بقوله: ((**... أنك إن تبصّرت في أمر هذه العلوم وجدت أنها نظمت تنظيما لا حاجة لها إلى القرآن أصلا حتى أنه يمكن لمتعلم أن يتعلمها جميعا: الصرف والنحو والبيان واللغة والحديث والرجال والدراية والفقه والأصول فيأتي آخرها، ثم يتضلع بها ثم يجتهد ويتمهّر فيها وهو لم يقرأ القرآن، ولم يمس مصحفاً قطُّ، فلم يبق للقرآن**

بحسب الحقيقة إلا التلاوة لكسب الثواب أو اتخاذه تميمة للأولاد تحفظهم عن طوارق الحدثان..))[49]. وتلك لمحة دقيقة للطباطبائي وإن لم يجر توظيفها؛ تبيّن أنّ القواعد وضعت من خارج النصّ القرآني؛ وقد بقيت هذه القواعد مهيمنة على عموم الحقل الخاص بالبيان وكما قال بعض الباحثين: ((**لا تزال القواعد هي التي تحكم تفسير القرآن الكريم هي تلك التي دوّنها الزركشي في كتابه (البرهان في علوم القرآن) والسيوطي في(الإتقان في علوم القرآن)؛ ولم تجر تعديلات أساسية على تلك القواعد فضلاً عن تأسيس اعتبارات جديدة يمكن النفاذ من خلالها إلى النصّ، وتكوين فهم أعمق**))[50].

منهج الدلالة القرآنية للألفاظ :

لعل أبرز ما يُلحظ في التأسيس لهذا المنهج أنه لا يمكن عدّ القرآن الكريم ثمرة من ثمار التطور الحضاري الذي مرّ به الإنسان أو عاشته أمّة، ولا يمكن عدّه انبثاقاً لغوياً ممثلاً لمرحلة من مراحل التطور اللغوي والاجتماعي والعقائدي والمعرفي للمجتمع في الحقبة التي شهدت نزوله.إنّ القرآن هو الإبداع الإلهيّ الخارق لسنن التطور، و لسنن الإبداع اللغوي؛ وهي ملاحظة ينبغي ألاّ تضيع في ظلّ القواعد التي وضعت لتحليل النصوص البشرية؛ قال تعالى:**(وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآَنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ)**(يونس: ٣٧).

ويترتّب على إدراك ما تقدّم النظر إلى القرآن الكريم بوصفه مدوّنة لها أنظمتها الخاصة المتفردة ولا يمكن أن يتمّ تحليل ألفاظها في ضوء قواعد وأنظمة هي أقل رتبة منها ؛ لهذا فإنّ النظر إلى القرآن بوصفه مدوّنة مستقلة سيجعل لهذا النص الإلهي استقلاليته، مع إحداث مقاربة لفهم هذه المدوّنة، والطريق إلى ذلك ينبغي أن يكون عبر منهج نابع من هذه المدوّنة لا أن يتمّ فرضه من خارجها. فالمعطى من علوم العربية يمثّل معطى خارجيّاً ، ومن التعسف أن نخضع النصَّ الإلهي لها؛ فهي ثمرة النظر إلى الكلام الذي كان العرب يتداولونه بينهم، مع يشوب ذلك المعطى من شوائب النقص، ودخول النزاع والمنافسة في نتائجه ومناهجه. وهو رأي صاحبه أو أصحابه، ولا يعدو أن يصيب هذا الرأي في موضع، و يخطئ في في آخر، بل إنّ مجال الخطأ والصواب يغيب فيها فذه العلوم بُنيت على الاجتهاد الفرديّ؛ وعلى حدّ قول الخليل (رحمه الله) عندما سُئل عن علله التي يعتلّ بها في النحو:((**...فإن سنح لغيري علّة لما عللته من النحو هي أليق ممّا ذكرته بالمعلول فليأت بها**))[51]. وبذا فإنّه من التعسّف أن تمّ إقحام معطى هذه العلوم لفهم كلام الله .

ينزع بنا ذلك إلى القول: بانّ في هذه المدونة من الآيات ما يعطينا معالم المنهج الذي يجب اقتفاء خطواته للوصول إلى فهم المراد منها بمختلف طبقاته الدلالية،التي يسع المقدرة البشرية الإحاطة بها؛ووضع تلك المعالم هي الهمّ الأكبر لهذا البحث .

إنّ آيات القرآن وألفاظه لم تصغ بلغة أخرى غير العربية، بل الذي نريد قوله ههنا: إنّ مظهراً من مظاهر إعجاز القرآن تمثّل في قدرته على توظيف هذه اللغة البشرية لصياغة نصّ الهيّ ذي آفاق متّسعة قال تعالى: **(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إلاّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)**(إبراهيم:٤) .وهو الذي لم تزل الجنّ إذا سمعته أن يقولوا إنّنا سمعنا قرآناً عجباً ؟!. فالمدوّنة القرآنية نصّ عربيّ الألفاظ إلهيّ النسج والدلالة، وظهرمن بعض تركيباته ما حيّر عقولهم،ومنها تركيبات لم يسبق أن الفتها أسماعهم من نحو صياغته تلك المكونات الحرفية (الحروف المقطّعة) لتكون جزءاً من آياته التي لفتت الأنظار. زيادة على الجانب الدلالي الذي صاغ فيه القرآن دلالاته ثمّ توجيهها الوجهة التي يريد؛ ولا ريب في أنّهم لم يستطيعوا أن ينكروا عربيته، وفي الوقت عينه عجزوا عن الإتيان بمثله فكان القرآن بالمنزلة العليا وكما قال عنه جعفر الصادق :**((وهو الدليل يدلّ على خير سبيل...))**[٥٢] .

زيادة على ما مرّ فقد تجاوز القرآن لحظات نزول آياته الزمانية والمكانية ليكون الكتاب الذي يمثّل المخطط الإلهي في الزمن وقد قال تعالى في شأنه:**(إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)**(الإسراء:٩).

لقد عبّرت طائفة من الأحاديث الشريفة عن الامتداد القرآني عبر المكان والزمان ببقائه حياً من ذلك قول الباقر (عليه السلام) :**((القرآن حي لا يموت، والآية حية لا تموت، فلو كانت الآية إذا نزلت في الاقوام ماتوا فمات القرآن ، ولكن هي جارية في الباقين كما جرت في الماضين))**[٥٣] ؛ وقال أبو عبد الله (عليه السلام)**:((إن القرآن حي لم يمت ، وانه يجرى ما يجرى الليل والنهار ، وكما تجرى الشمس والقمر، و يجرى على آخرنا كما يجرى على أولنا))**[٥٤]. وصاغ الأصوليون قاعدة أصولية توضّح أنّ سبب النزول غير حاكم على دلالة الآية، وهي قولهم:**(العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب)**[٥٥].فالوقائع **(سبب النزول)** التي نزلت الآيات على أثرها لا تقيّد دلالة تلك الآيات ومقاصدها .

إنّ البحث ينطلق في تأسيس معالم منهج الدلالة القرآنية من القول بأنّ أنظمة التحليل اللغوي إنما وضعت لفهم كلام العرب، فيجب ألاّ تقحم في التحليل اللغوي- وبخاصة الدلاليّ منه- للغة القرآن؛ ومن ههنا فالبحث يتوقف عن إرجاع اللفظة إلى جذرها الصرفي أو المعجمي عند الكشف عن دلالة اللفظة، ويرى- ابتداءً- أن كل لفظة من ألفاظ القرآن ذات دلالة مستقلة عن غيرها ، بل هي مستقلة عن دلالات أقرب الألفاظ إليها اشتقاقاً .واعني بكونها دلالة مستقلة أنها غير مرتبطة بتحوّلات الجذر اللغوي لمادتها المعجمية لأننا نتحدّث عن دلالة خاصة للألفاظ

القرآنية فالألفاظ ستكون في مستوى آخر من مستويات استعمالها أو نقلها للمعنى ، فبعد الدلالة اللغوية للفظة التي تظهر في العجم والى جانبها الدلالة العرفية، تأتي الدلالة الاصطلاحية، وقد تكون متعددّة على حسب المجالات العلمية التي ترد فيها، تأتي الدلالة القرآنية التي استعملت فيها تلك اللفظة في القرآن الكريم، وهي دلالة خاصة.عمل المفسرون على إدراكها لفهم ما أراد الله، لكنهم سلكوا طرائق شتى لتحصيلها.ولم يخلصوا في التوجه نحو تفسير القرآن بالقرآن ،كما أن من سلكه في بعض تفسيراته لم يبيّن الخطوات التي يجب أن تتبع ليكون التفسير هو تفسيرا للآية بأختها .

وممّا تقدّم يلحظ في بحثنا العناية بالجانب اللفظي وهو ما ينسجم مع الإطار التدويني لكتاب الله تعالى المرتكز على الجانب الكتابي، وتظهر اللفظة بوصفها هيأة كتابية مرئية ومقروءة، لا بوصفها بنية معجمية أو صرفية. بمعنى أنّ اللفظة في منهج الدلالة القرآنية هي كتلة لفظية وكتابية تشمل الكلمة كما يعرفها أهل اللغة مع كل ما يتصل بها من لواحق وسوابق. فاللفظة القرآنية تختلف عن الكلمة أو اللفظة عند أهل اللغة؛ ولأجل ذلك سيكون مما يعتني به المنهج هو وضع حدود للفظة القرآنية مستوحاة من السياق اللفظي الذي وردت فيه .

إنّ منهج البحث المقترح هو محاولة لأن يؤسس رؤيته للنصّ الإلهي عبر(دلالة الألفاظ) القرآنية؛ وذلك لأنّ الألفاظ هي الوحدات الدلالية الصغرى في هذه المدوّنة فهي أول ما يتمّ للمتلقي إدراكه من معنى الآية، ويتضح أثر المتلقي هنا من الوظيفة التي أُنزل القرآن لأجلها وهي الهداية التي أراد الله لعباده ؛ قال تعالى:

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا) (الإسراء: ٩).وهي هداية متعدّدة الجوانب، أولها أن تهديه تلك الآيات إلى الطريقة الصحيحة لفهم دلالات ألفاظها المفردة، أي منهج لدلالة الألفاظ القرآنية.ومنها الى غيرها من الدلالات والمقاصد.

معالم المنهج الجديد :

يتأسس منهج الدلالة القرآنية للألفاظ على النظر الى النصّ القرآني بوصفه مدوّنة لغوية، تمتلك هذه المدونة نظاماً لغوياً محكماً تختصره فكرة التحدي في الإتيان بمثله أو ببعض منه؛ وتتجلّى ابعاد ذلك الإحكام في الإفراد والتركيب (أي:في اختيار الألفاظ، وصياغة الجمل والآيات وترابطها ومستوياتها الدلالية المتعدّدة) وصولاً إلى السورة كاملة .

إنّ العناية بالألفاظ على نحو خاص مما أشار إليه اللغويون الأقدمون بوصفها اللبنة الدلالية الأولى للنص؛ وفي ذلك يرد قول الراغب الأصفهانيِ: **((أول ما يُحتاج أن يستغل به من**

علوم القرآن العلوم اللفظية، ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة، فتحصيل معاني مفردات ألفاظ القرآن في كونه من أوائل المعاون لمن يريد أن يدرك معانيه كتحصيل اللَّبِن في كونه من أول المعاون في بناء ما يريد أن يبنيه، وليس ذلك نافعاً في علم القرآن فقط، بل هو نافع في كل علم من علوم الشرع فألفاظ القرآن هي لُبُّ كلام العرب وزبدته، وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء فيأحكامهم...))[٥٦].مع أهمية النص المتوجه نحو بيان قيمة الاهتمام بالألفاظ، فإننا ننوّه به إلى أنّ منحى البحث يندرج في الإطار العام للبحث القرآني ، وإن كان سعيه الى إحداث مفارقة معه في فهمه للدلالة القرآنية، وطريقة تحصيلها.

و يتجلى الإحكام في القرآن في استعمال الألفاظ على نحو هو الإعجاز بالنسبة لغيره من الكتب السماوية الأخرى فلا عن غيرها من عمل المخلوقين؛ ومن هذا الإحكام انسجام اللفظة داخل بيئتها اللغوية، والبيئة اللغوية للفظة هي: طائفة من المصاحبات اللفظية التي تظهر على صورة تجمعات لفظية واضحة لتتعاضد دلالاتها في رسم المعنى العام للآية أو للسورة، و ظهر عند تطبيق هذا المنهج مع بعض الألفاظ أنّ لكلّ موضوع بنية توزيعية مكوّنة من مجموعة الألفاظ المترابطة دلالياً تلك التي تصاحب ذكر ذلك الموضوع إلى مرتبة يُصبح ذكر لفظة ما - دليلاً على أنّ الكلام مرتبط بموضوع بعينه دون غيره. وقد يكون مثل هذا المنزع في استعمال الألفاظ عاملاً فاعلاً في تحديد حقل الدلالة الذي تنتمي إليه اللفظة.

إنّنا في سبيل الوصول الى نتائج يعتدّ بها،وتكون ثمرة للمنهج الجديد نعتمد آلية منهجية هي **(غلق المدوّنة)** وهي طريقة إجرائية لفهم النصوص المكتوبة، أراها أكثر جدوى في البحث لتوافقها مع رفض الأفكار المسبقة التي تصاحب فهم النصّ- بخاصة من مثل هذا النصّ الإلهي ، والنصوص أخرى لها ما يميّزها من غيرها- وهي آليّة ترتكز على ما هو داخل المدوّنة لا ما هو خارجها، وإن كان هذا الخارج حديثاً نبويّاً أو حديثاً لأهل البيت(ع)؛ إنّنا بصدد منهجية للقراءة والتحليل تخصّ نصاً ،أبدعه الكامل المطلق في كماله الذي لا يحتاج الى غيره المستغني بذاته عن مخلوقاته.ومن المعلوم أننا يجب ندرك كيفية اعجاز القرآن من تدبّر القرآن ، وليس من إخبار الرسول(ص) إيانا بذلك.

ينزع غلق المدوّنة بالباحث إلى الإفلات من أية دوافع فكرية أوعقيدية تجعل المدوّنة تُقرأ في ضوء تلك الدوافع فتكون قراءة النصّ المقدّس سبيلاً لخدمتها لا أن يكون الأمر بخلاف ذلك؛ فلا يكون همها ما أراد الله إلاّ بالقدر الذي يخدمها لتحقيق أغراضها .

إنّ غلق المدوّنة الذي سيعمل به المفسر مع القرآن يعزز الحرص على إبراز المنحى الذي استثمره القرآن من العربية ليكون له شبكة من الألفاظ لها دلالاتها الخاصةً، إن غلق المدوّنة يتعامل مع النصوص المكتوبة تعاملاً أشبه ما يكون بتعامل عالم الآثار مع القطع الأثرية من الحضارات القديمة إذ((**ليس لدى عالم الآثار هذا لتحديد هويّة ذلك الأثر الحضارية ودلالته إلا**

نظرته الفاحصة إليه فيبحث فيما اشتمل عليه من خطوط أو زخارف وفي المادة التي صنع منها وفي هيأته الخارجية.مع الأخذ بنظر الاعتبار المكان الذي وجْده فيه.ومن ثمَّ يستطيع -في ضوء خبرته الآثارية -أن يرسم لنا صورة تمثل الجوانب المختلفة للحضارة التي أبدعت تلك الزخرفة أو كتبت ذاك الرُقم أو صنعت ذاك الخاتم وبحسب ما يزوّده به ذلك الأثر.إذ ليس له أن يدعي شيئاً لا دليل له عليه من هذا الأثر بل إنّ تمسكه بحرفية منهجه هذا يعدّ عاملاً فعّالاً لثقته بما توصل إليه))[٥٧].

فنحن ههنا نتوخى أن نستمدّ روحية هذا المنهج الآثاري لقراءة غير منحازة وحيادية ؛ لا لأننا ننظر الى القرآن الكريم بوصفه قطعة أثرية بل لأنّه نصّ نابض بالحياة، ونريد أن يعطينا ما لديه من غير أن نقحم عليه أفكارنا وتصوّراتنا التي أسسناها لنا، وسبق أشارة إلى أنّ القرآن لم يكن منجزاً تابعاً للحظة التي أُنزل فيها أو للحضارة التي كتب بلغتها، فيكون أثرا لتلك الحقبة؛ بل هو إبداع إلهيّ محضٌّ لكلّ الأزمان والحضارات.

هذا المنحى الأثاري في النظرإلى لغة القرآن يمكن أن يعطينا نتائج دقيقة؛ إذ يقف عند كلّ لفظة منها لكشف دلالتها، وبيان أثرها في بيئتها اللغوية، وما الألفاظ التي تصحبها، ومنها الحروف الرابطة بين الألفاظ (حروف المعاني) وهذه جميعاً تمثّل سياق اللفظة اللغوي(اللفظي) الذي يدخل في منهجنا هذا بوصفه عنصراً مهماً من عناصر فهم الدلالة القرآنية.

يكشف تتبع العلاقات بين الألفاظ عن شبكة متعددة الأطراف ومتعدّدة الأتجاهات يعسر على الباحث متابعتها في حدود موضوع بحثه (بخاصة إنّنا في المراحل الأولى لاقتراح هذا المنهج وتطبيقه)[٥٨] ما يعني أنّ كثرة البحوث في هذا الجانب ستسهم في إعطاء صورة واضحة لفهم دلالة الألفاظ القرآنية؛ لذا لا استطيع أن ادّعي أنّ النتائج التي أفرزتها البحوث المنجزة في ضوء هذا المنهج نتائج نهائية، ومطلقة الصحة، بل إنّ في تلك النتائج ما يمكن الباحث من القول أنّه يجب أن نعيد النظر في مجمل فهمنا للآيات القرآنية، ونعيد النظرفي اعتبارات أخرى تتحكم فينا عند تدبّرنا للقرآن، ذلك التدبّر الذي دُعينا اليه.

من الملحوظات التي تُلفت نظر الباحث ههنا أنّ البحث القرآني في ظلّ **(غلق المدوّنة)** لا تقتصر نتائجه على الجانب اللغويّ حسب؛ بل تمتدّ معه الى كلّ جانب من جوانب الحياة المختلفة، والى كلّ سمة حضارية أشار اليها القرآن وعمل على تأسيسها أوالعمل بها، فالمنهج الجديد يجعل المدوّنة القرآنية مصدر هدايته الأول نحو تلك الجوانب، ومنها المعالم المنهجية لتأسيس منهج جديد لفهم هو أكثر دقةًً لدلالات ألفاظ القرآن الكريم.

معالم المنهج الدلاليّ لألفاظ القرآن :

تتلخص المعالم المنهجية الإجرائية (أعني بها الخطوات التي على المفسّر،أو الباحث في الدلالة القرآنيّة السير على وفقها) لبيان الدلالة القرآنية بما يأتي:

١ - **ينصبّ الاهتمام في هذا المنهج باتجاه اللفظة القرآنية المفردة بوصفها الوحدة اللفظية والدلالية الأساس(الصغرى) في المدونة القرآنية**.بوصفها المفتاح لمعرفة الدلالات الأخرى ، سواء في ذلك دلالة التركيب أم دلالة الآية أم دلالة النصّ .

٢ - **تسلك اللفظة القرآنية في المراحل الأولى من تطبيق هذا المنهج مسلك الوحدة المستقلّة عن غيرها أشتقاقاً ودلالة**، بخاصة مع تلك الألفاظ التي تشترك معاً بالجذر اللغوي ؛ثمّ تأتي المرحلة الثانية من البحث وتبدأ بعد معرفة الدلالة القرآنية لتحكم بمدى الاقتراب والابتعاد بين دلالات تلك الألفاظ. زيادة على ذلك فإنّ هذه المرحلة تكشف مدى الافتراق بين الدلالتين القرآنية والمعجمية (اللغوية) ومدى توافقهما، ذلك أنّ الدلالة المعجميّة تعدّ الأساس الأوليّ لحمل اللفظة الدلالة الجديدة داخل المدوّنة الالهية من دون أن تتحكم بها.

٣ - بالنظر إلى ما جاء في المعلم الثاني من معالم منهجنا **فانّ كلّ لفظة تتحدّد هيأتها عن طريق صيغتها المستعملة في القرآن لامن جذرها**؛ ومعنى ذلك أنّ اللفظة القرآنية مفهوم يجمع الأصل اللغوي، والصيغة الصرفية، وما اتّصل بها من سوابق أو لواحق(ومنها المتصلة والمنفصلة، والضمائر التي أُسندت اليها وعلامات التأنيث أو التثنية أو الجمع ونحو ذلك).على هذا فإنّ ألفاظ:(حزب والحزبين والأحزاب)وهي ألفاظ استعملت في القرآن- جاءت كلٌّ منها بمعنى يخصّها لاتشترك به مع لفظة أخرى، وكذلك الحال في ألفاظ: (الظلم والظالمون والمتشابه والمتشابهات وتشابه والكتاب وكتاب والقرآن وقرآن والفرقان والذين آمنوا والمؤمنون والذين كفروا والكافرون، وغير ذلك)

٤ - **قد تسلك لفظتان أو أكثر مسلك اللفظة المفردة فيكونان بمنزلة اللفظة المفردة التي تمتلك دلالة مستقلّة عن اللفظتين المكونتين لها**، وقريب من هذا الأمر ما رآه سيبويه، وآخرون من أنّ الاسم المضاف والمضاف اليه بمنزلة الكلمة الواحدة وقد تبنّت بعض النظريات الدلالية مثل هذا في اعتمادها على السياق اللفظي، ومقولتها:(**(استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين- استعمالهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأُخرى)**)[٥٩]. وذلك في القرآن من نحو: حزب الله وحزب الشيطان وحديث الجنود والحديث؛ و يأتي في هذا الإطار أيضا: علاقة الاسم الموصول مع صلته من نحو : الذين آمنوا والذين كفروا، فلكلٍّ دلالة مختلفة عن دلالة المؤمنين والكافرين ، وكذلك الذين هادوا والذين أشركوا عن اليهود والمشركين وغيرها ؛ممّا ستكشف عنه البحوث اللاحقة إن شاء الله تعالى.

٥ - **تدخل في ضمن المعلم السابق علاقات أخرى من نحو علاقة اسم الإشارة مع المشار إليه وعلاقةالتبعية بين التابع والمتبوع**، من نحو(هذا القرآن) قبالة لفظة القرآن من غير اسم

الإشارة، ويوم عظيم ويوم أليم وعذاب مهين والعذاب المهين فدلالتها تختلف عن دلالة لفظة اليوم والعذاب. معنى ذلك أنّنا نأخذ بالاعتبار –في هذه المرحلة المبكّرة– القول بوجود مركّب مكوّن من لفظتين أو اكثر يسلك مسلك اللفظة الواحدة.

٦- **يسري القول الذي جاء في المَعلمَين السابقين على تلك الألفاظ التي يتعلق بعضها ببعض في تركيبات جملية من نحوالتركيب القرآني: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا...)**[٦٠].

٧- **إنّ لكل لفظة سماتها المميّزة التي تعطينا دلالة على نحوٍ دقيق وتتمثّل تلك السمات في مايأتي:**

أ- **السمات المعجمية:** وتتمثّل في دلالة اللفظة في الأصل اللغوي.

ب- **السمات البنائية:**وهي المتأتية من الصيغة الصرفية التي نسجت بها الحروف الأصل للفظة القرآنية.

ج- **السمات النحوية:** تظهر هذه السمات من خلال علاقات اللفظة مع الألفاظ المجاورة ضمن العلاقات داخل الجملة أو التركيب.

د- **السمات السياقية:** وهي التي تظهر في السياق اللفظي أو اللغوي لتلك اللفظة؛ لاسيّما سمات الاقتران بمجموعة من المصاحبات(الإقترانات) اللفظية.وستُظهرمرحلة تطبيق هذا المنهج أثر كلّ من هذه السمات في تحديد الدلالة. ولعلّ هذه السمات تعدّ الأكثر أهمية لتحديد الدلالة التي استعملت بها في القرآن.

إنّ أخذ السمات الآنفة الذكر بنظر الاعتبار يضع أمامنا مستوى من الدلالة للألفاظ نطلق عليه الدلالة القرآنية، وهي الدلالة تلازم اللفظة أينما استعملت في القرآن. أمّا ما يذهب إليه اللغويون والمفسرون من تعدد دلالة اللفظة الواحدة فهو الأمر غير مقبول بحسب ما تقدّم ؛ لأنّ التعدد هنا هو من الاختلاف الذي نفاه الله تعالى عن كتابه الكريم بما ورد في آية التدبّر (النساء٨٢)، ولا احسب أحدا يقول إنّ تعدد دلالة اللفظة الواحدة هو من عدم الاختلاف؛ وإلاّ فما هو الاختلاف إذن ؟!.

وتضمّن القرآن آياتٍ عدّة في المجال المذكورمن ذلك قوله تعالى:

(إِنَّ هَذَا الْقُرْآَنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا)(الإسراء: ٩).

و **(وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآَنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ* قُرْآَنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)**(الزمر:٢٧ – ٢٨).

فواحديّة الدلالة من هذا الباب -باب التي هي أقوم- وكذلك نفي التعدد الدلاليّ من وصف القرآن:بـ(**غير ذي عوج**)الذي أتى بعد وصف القرآن ب(**قرآنا عربياً**) هو وصف للأداء وللإدراك.

ويندرج في الإطار نفسه ما جاء من حديث الرسول الكريم(صلى الله عليه وآله) من أنّ القرآن يفسر بعضه بعضا؛ إذ كيف يكون مفسِّراً لنفسه؛ ولكلّ لفظة من ألفاظه معانٍ عدّةُ ؟! .ويأتي في هذا السياق قوله(ص):(...**القرآن لم ينزل يكذّب بعضه بعضاً، فما عرفتم منه فأعملوا به، وما جهلتم منه فردّوه إلى عالمه)**[٦١]، وقوله أيضا: **(إنّ القرآن يصدّق بعضه بعضاً؛ فلا تكذبوا بعضه ببعض)**[٦٢]؛ إذ إنّ قوله **(لم ينزل يكذّب بعضه بعضاً)** ينطبق على تعدد اللفظة الواحدة بين موضع وآخر!! . لهذا فنفي ذلك يوجب النظر إلى القرآن بوصفه المدوّنة الأوضح دلالة من غيرها لما في تعاضد نصوصها الواحد مع الآخر في بيان ما قد يُشكل على المتلقي في بعض جوانب هذه المدوّنة فتكون بعض مواضع اللفظة عاملاً فاعلاً في بيان دلالتها وإزالة اللبس لديه؛ وإلا فإنّ الجهل بذاك لايكون منطلقاً للفهم، وعلى المتلقي العدول إلى العالم بالقرآن.ويأتي في هذا الموضع قول الإمام عليّ الآنف الذكر **(ينطق بعضه ببعض ويشهد بعضه على بعض)**[٦٣]. وقال الطبري في قوله جلّ ثناؤه :**(أفلا يتدبرون القرآن)**:((**أفلا يتدبر المبيّتون غير الذي تقول لهم-يا محمد-كتاب الله فيعلموا حجّة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك، وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم، لإتساق معانيه، وائتلاف أحكامه، وتأييد بعضه بعضًا بالتصديق، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق، فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه، وتناقضت معانيه، وأبان بعضه عن فساد بعض**))، وذكر عن ابن زيد قوله:((**إن القرآن لا يكذّب بعضه بعضًا، ولا ينقض بعضه بعضًا، ما جهل الناس من أمرٍ، فإنما هو من تقصير عقولهم وجهالتهم! وقرأ:(ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيرًا)**...))[٦٤].

وكفى بما وصف القرآن نفسه بقوله تعالى: **(يس* وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ**((يس:١-٢) فهو الوصف الذي يتضمن الدقة ومنع اختلاط الأمور بأن توضع الأشياء في مواضعها.

على ذلك نرى انه لا وجود للترادف في القرآن الكريم ولا وجود للتضاد فيه[٦٥]؛ وإن وجد ذلك في العربية؛ على أنّ من علماء العربية من نفاها عن العربية أيضا ً،وهو ابن درستويه، وقد ضيّق البحث الدلالي المعاصرحدود هذه الظواهرإلى درجة كبيرة عندما لجأ إلى النظرية التحليلية في الدلالة[٦٦].

٨- من المعالم الأساسية لهذا المنهج النظر إلى السياق بوصفه وليد ألفاظه؛ وليس العكس على ما يلحظ في الدراسات الدلالة المعاصرة التي تظهر السياق في المنزلة التي يتحكم فيها بدلالة الألفاظ؛ والسياق الذي أعنيه هو السياق اللفظي (اللغوي) لا غير؛ وهو المعلم البارز لمدونة القرآن ذي الكيان اللفظي المكتوب، إنّ هذه المدوّنة ليست ثمرة اللحظة التي استدعت نزول آياتها، فلم يكن سبب النزول إلاّ متّكأً ًأولياً ًفي المخطط الإلهي للقرآن؛ علماً أنّ أسباب النزول التي تمثّل عند الدلاليين سياق الحال أو المقام ذُكرت في نصوص مستقلة عن القرآن،

خارجة عنه، فأخذها بعين الاعتبار لا ينسجم ومنهج البحث في المدوّنة المغلقة وكان إدخالها في فهم دلالة الآيات سبباً في اختلافٍ كثيرٍ بين المفسرين؛ لأنها اشتملت على الاختلاف في مضامينها مع عدم استيعابها لكل الآيات التي لم يكن نزول كثير منها مرتبطاً بسبب محدّد. زيادة على أنّها ليست قطعية الدلالة. ولا مجال للاختلاف في السياق اللفظي، وقد ذهبت بعض النظريات الدلالية المعاصرة إلى عدم الاعتداد بغير هذا السياق [٦٧].

والملحوظ في هذا السياق(أعني: اللفظي) أنّ بعض الألفاظ تسلك مسلك اللفظة المركزيّة التي تكون محوراً دلاليّاً تتجمع حوله الألفاظ التي قد يكوّن بعضها محاوردلالية ثانوية تبرزبها جوانب الموضوع الذي تتعلّق به، فتكوّن بذلك شبكة متداخلة من الألفاظ، بمعنى أنّها تكوّن ما سُمّي في علم الدلالة البنية التوزيعية أو الإقترانات اللفظية؛ تقوم هذه الاقترانات على أساس انسجام الألفاظ من خلال توافقها بالسمات التمييزية التي مرّ الكلام عنها في المعلم ذي الرقم(٦)من معالم المنهج.

ويظهر هنا الطريق الذي سلكه الدلاليون في قولهم: بأن معنى الكلمة لا ينكشف الاّ من خلال تسييقها[٦٨] (أي:وضعها في السياق) كان وليد معايشة اللغة بوصفها لغة خطاب فكانت نظرتهم عبر أنّ اللغة حدث كلامي قائم، وهو كلامٌ بشريٌّ وعلى هذا يعتريه ما يعتريه من عدم الوضوح والخلط وتداخل الدلالات،ومن ههنا كان عدّهم سياق المقام وبعض السياقات الفرعية الأخرى، زيادة على أن ّ السياق اللغوي جزء أساسيّ لفهم دلالة لألفاظ. وذلك مما لم يكن مع كلام العرب خلا ما كان من سيبويه الذي تعامل معه كونه خطاباً قائماً، وهو ما افتقرت إليه المؤلفات النحوية اللاحقة[٦٩].

أمّا النص القرآني فهو نص مدوّن، وهو من خارج المنظومة الكلامية المتداولة التي أوجدها المتكلمون(أي:الناس)؛ وجاء في بعض كلام لعليّ (ع) قوله: ((**...هذا القرآن إنّما هو خطٌ مسطور بين دفتين لا ينطق بلسان ولابدّ له من ترجمان...**))[٧٠].

إنّ انحسار سياق المقام في منهجنا هذا يعضّده النظام التشريعي في عموم النص القرآني وترك خصوصية النزول؛ لذا كان اللجوء إلى ألفاظه المرتبة داخل النصوص في هيأتها التي بين أيدينا (داخل الدفتين)، بل إنّ غلبة الجانب اللفظي في فهم النصّ الإلهي كان عاملاً مؤثّراً للديمومة والبقاء، ووذلك ما عُبّر عنه بحياة القرآن أو الآية. فكانت الدعوة نحو القرآن متجددة في كل العصور فـ((**عن النبي صلى الله عليه وآله) قال: إنّ هذا القرآن مأدبة الله فاقبلوا من مأدبته ما استطعم...لا تنقضي عجائبه..**))[٧١] وعن الإمام عليّ في بعض خطبه من الوصف الجامع لكتاب الله قوله:((**لا تفنى عجائبه، ولا تنقضي غرائبه**))[٧٢].

٩- انّ كثيراً من الذي عدّه الباحثون[٧٣] من سياق الحال أو المقام لم يكن في حقيقة أمره منهما؛ بل هو ما أصطلح عليه بـ(المحتوى الدلالي للجملة)، الذي ظهر في كتاب سيبويه على نحو مؤثر في تحليله النحوي لكلام العرب ؛ وكان المجال الرابع من مجالات التحليل النحوي الخمسة التي استند إليها[٧٤] بحسب دراسة خاصة للكتاب ،وأعني به:**((أنّ الجملة سيتم فهمها في ضوء إطار من الدلالات الخارجية غير اللغوية وتكون الجملة هي الوسيلة الوحيدة التي ستمّدنا بما نحتاجه لفهمها في بيئتها الخارجيّة أو اللغوية.أمّا في حالة بنائها على السياق فهذا يعني أن السياق سابق للجملة بل الجملة تولد في كنفه فيطبعها بطابعه فالجملة بنت السياق))**[٧٥]. فالمحتوى الدلالي هو المأخوذ من الجملة على حين أنّ السياق عنصر خارجيّ من عناصر تكوين الجملة، وله وجود سابق عليها؛ أمّا المحتوى الدلاليّ فهو استدعاء لما يمكن ان يكون سياق المقام او الحال ، وهو السياق المفترض للحظة التي ولدت فيها الجملة؛ بينما المحتوى الدلاليّ يولد مع الجملة، ويبقى ببقائها.

١٠- أشارت طائفة من الآيات القرآنية الى أنّ هناك سنّةً إلهية للتعامل مع الأمم السابقة المؤمنة منها، وتلك التي طغت،وعتت عن أمر ربّها، وهذه السنّة جارية عند نزول الآيات وفيما يُستقبل من الأزمان، كما جرت فيما مضى، واستعمل القرآن الفاظاً مع الماضين ثمّ استعملها مع الحاضرين، ومع ما يستقبل ما قد يشيرالى تعدّد دلالة اللفظة الواحدة من نحو استعمال لفظة العذاب أو الكتاب، الأمر الذي يدعونا الى القول بأنّ الحقبة الزمنية ستدخل عاملاً قويّاً في تحديد الدلالة المقصودة بوصفها جزءاً من سياق اللفظة اللغوي؛ وبهذا ستكون دلالة واحدة ذات مصداقين زمنيّين. ومن تلك الآيات نذكر قوله تعالى :

= (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا*أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا)(فاطر٤٢-٤٣).

= (فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ) (غافر٨٥).

= (وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا *سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا)(الإسراء: ٧٦ – ٧٧)

= **(مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا)**(الأحزاب: ٣٨)
= **(سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا)**(الأحزاب:٦٢)

وفي الحق إنّ السعي الأكبر هو أن نسير في طريق بناء منهج يكون مصداقاً لنفسّر القرآن بعضه ببعض((**وقد أبدع كتّاب كبار في توظيف هذه النقطة في تأويل النصّ القرآنيّ بما يخدم النص وينقذه من كثير من الأوهام والتصوّرات الهابطة التي لا تتناسب مع وظيفة الكتاب الإلهي العزيز...إنّ القانون المذكور- القرآن يفسّر بعضه بعضاً – دالة تأويلية مستفادة من القرآن كلّه وهي بالوقت ذاته تحول دون الاستهتار بالنصّ**))[٧٦]، إلاّ أنّ هذه الدالة التي أشار إليها النصّ لم تكن نابعة من منهج بعينه ذي معالم وخطوات واضحة لدى المفسرين؛ بل هي من باب الأحكام العامة التي نتجنّب الدخول في تفاصيل العمل التفسيري؛ الأمر الذي عملنا على اجتنابه عبر منهجنا المقترح قي هذا البحث ومن أجل ذلك فمنهجنا هذا هو الأول للسيّر في هذا الطريق في ظل معطيات قراءة للخطاب القرآني تكون أكثر إحكاما في التوجّه نحو هذا الخطاب من منطلق كونه نصّاً مدوّناً .

إنّ الجدير بالتنويه في خاتمة بحثنا هذا القول بأنّ البحث يحاول سدّ الثغرات في تفسير القرآن بالقرآن لما سبق ذكره من ندرة الأحاديث التي تسلك هذا المسلك في فهم الآيات، ولعدم وجود تصوّر منهجي لدى المفسرين عند تطبيق هذا المنحى من التفسير؛ ويظهر من بعض الروايات احتمال ضياع أحاديث نبوية لتفسير القرآن إذ تأتي في هذا المجال روايات تذكرانّ الصحابة كانوا لا يتجاوزون عشرآيات حتّى يعرفوا معناها ويتعلموا العمل بها، ومنهم من اختصّ بتتبع تفسيرالآيات وتدوينها ولعلّ أبرزهم الإمام عليّ بن أبي طالب الذي جاء عنه قوله:**((والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيما نزلت ، وأين نزلت ، وعلى من نزلت ، إن ربي وهب لي قلبا عقولا ولسانا طلقا . وعن ابي الطفيل ، قال : قال علي : سلوني عن كتاب الله فإنه ليس من آية إلا وقد عرفت بليل نزلت أم بنهار ، في سهل نزلت أم في جبل))**[٧٧]، وجاء عن صاحبه سُليم بن قيس الهلالي قوله :**((سمعت أمير المؤمنين** (عليه السلام) **يقول : ما نزلت آية على رسول الله**(صلى الله عليه وآله) **إلاّ أقرأنيها وأملاها عليّ ، فاكتبها بخطيّ ، وعلمني تأويلها وتفسيرها وناسخها ومنسوخها ومحكمها ومتشابهها، ودعا الله لي أن يعلمني فهمها وحفظها، فما نسيت آية من كتاب الله، ولا علم املائه عليّ فكتبته منذ دعا لي بما دعا وما ترك شيئا علمه الله من حلال ولا حرام ولا أمر ولا نهيّ كان، أولا يكون من طاعة أو معصية الا علمنيه وحفظته، فلم أنس منه حرفا واحدا، ثم وضع يده على صدري ودعا الله أن يملأ قلبي علما وفهما،وحكمة ونورا لم أنس شيئا ، ولم يفتنى شئ لم اكتبه...))**[٧٨] ،ومنهم ابن عبّاس وأبو الدرداء وابن مسعود

؛ وتقدمت الإشارة إلى كلام ابن مسروق في الثلاثة الذين انتهى إليهم علم التفسير وكان عليّ أكثرهم علماً.

وهكذا فالمعالم الآنف ذكرها تسلك مسلك المعايير التي تضبط عمل المفسِّر والدلالي للبقاء في ظل المدوّنة الإلهيّة. وأشير إلى أن المعالم التي تم ذكرها لتكون منهجا لتفسير القرآن بالقرآن وسنصل عبرها إلى معرفة الدلالة الحقيقية التي أرادها الله تعالى، بحاجة الى أن تنال العناية من الباحثين والمفسرين لتظهر بعد ذلك مدى موضوعية المنهج المقترح بوصفه المنهج الذي يختصّ بالكشف عن الدلالة القرآنية لكل ألفاظ القرآن الكريم .

روافد بحث (منهج الدلالة القرآنية للألفاظ):

- القرآن الكريم.
- الإتقان في علوم القرآن/جلال الدين السيوطي / موقع الوراق غير موافق للمطبوع/(قرص المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني).
- أصول التفسير والتأويل /كمال الحيدري / دار فراقد/مطبعة أستانة/إيران /الطبعة الثانية/١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- الإيضاح في علل النحو/أبو القاسم الزجاجي (٣٣٧هـ)/تحقيق:د.مازن المبارك/دار النفائس/مؤسسة مطابع معتوق/بيروت/ط٢/١٣٩٣هـ-١٩٧٣م
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار /محمد باقر المجلسي/مؤسسة الوفاء/ بيروت/ ط٢ / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- تفسير العياشي / لأبي النظر محمد بن مسعود بن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي / وقف على تصحيحه وتحقيقه والتعليق عليه هاشم الرسولي المحلاتي / المكتبة العلمية الإسلامية / طهران .
- تفسير القرآن العظيم/أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي(٧٠٠٧٧٤هـ) /تحقيق:سامي بن محمد سلامة/نشر: دار طيبة للنشر والتوزيع/ط٢/١٤٢٠هـ-١٩٩٩م
- تفسير القمي لأبي الحسن علي بن إبراهيم القمي (من أعلام قرني ٣ – ٤هـ)/ صححه وعلق عليه: طيب الموسوي الجزائري/ مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر قم / إيران /ط٣ / ١٤٠٤هـ .
- التفسير والمفسرون /محمد هادي معرفة / مؤسسة الطبع والنشر في الإستانة الرضوية المقدسة/ايران/ ١٤٢٥هـ -١٣٨٣هش.

- جامع البيان في تأويل القرآن/محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري(٢٢٤-٣١٠هـ)/تحقيق:أحمد محمد شاكر/نشر:مؤسسةالرسالة/ط١/١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.
- الجامع لأحكام القرآن(تفسير القرطبي)/أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي/ دار إحياء التراث العربي/ بيروت - لبنان /١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- علم الدلالة/د.أحمد مختار عمر/مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع/مؤسسة الخليج للطباعة والنشر/الكويت/ط١/١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.
- علوم القرآن/ محمد باقر الحكيم / مجمع الفكر الإسلامي /ط٣ /المطبعة : مؤسسة الهادي / قم /١٤١٧هـ (قرص مكتبة أهل البيت)
- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير/محمد بن عليّ بن محمد لشوكاني(ت١٢٥٥هـ)/ المطبعة عالم الكتب/(قرص مكتبة أهل البيت) .
- فضائل القرآن وتلاوته/أبو الفضل الرازي/باب فضل القرآن على غيره من الكلام /موقع الوراق(قرص المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني).
- كنز العمال/ للمتقي الهندي / موقع يعسوب ترقيم الكتاب موافق للمطبوع/(قرص المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني).
- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم/محمد حسين الصغير /.
- مجمع البيان في تفسير القران/أمين الإسلام أبو على الفضل بن الحسن الطبرسي ق٦هـ/ تحقيق:لجنة من المحققين/قدم له محسن الأمين العاملي/منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/بيروت/ ط١/١٤١٥هـ- ١٩٩٥م.(قرص مكتبة أهل البيت).
- المحصول في علم الأصول/فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي(٦٠٦هـ)/تحقيق : د. طه جابر فياض العلواني /المطبعة : مؤسسة الرسالة - بيروت/ط٢/ هـ١٤١٢./(قرص المكتبة الشاملة- الإصدار الثاني).
- مداخل جديدة للتفسير/غالب حسن /دار الهدى للطباعة والنشر/ط١/ ١٤٢٤هج-٢٠٠٣م.
- مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل/ميرزا حسين النوريّ الطبرسيّ المتوفى سنة١٣٢٠ هـ/ تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث/ط١/بيروت – لبنان/١٤٠٨ - ١٩٨٧ م/ (قرص مكتبة أهل البيت) .
- مسند الإمام أحمد بن حنبل(وبهامشه كنز العمال في المنتخب من الأقوال والأفعال)/ احمد بن حنبل /دار صادر بيروت .د.ت .(قرص مكتبة أهل البيت).
- معاني الأخبار/الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القميّ (ت ٣٨١هـ) / تصحيح علي أكبر الغفاري/ الناشر انتشارات إسلامي وابسته بجامعة مدرسين بالحوزة العلمية / قم /١٣٦١ هش. (قرص مكتبة أهل البيت).

- المعجم الأوسط للطبراني/موقع جامع الحديث الكتاب /مرقم آليا غير موافق للمطبوع/(قرص المكتبة الشاملة- الإصدار الثاني).
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم /محمد فؤاد عبد الباقي /منشورات ذوي القربى /مطبعة أميران/إيران/ط٢ / ١٤٢٣هـ-١٣٨١هش.
- مفهوم الجملة عند سيبويه/د.حسن عبد الغني الأسديّ/دار الكتب العلمية/ بيروت/ ط١ /٢٠٠٧ م .
- المنهج الأثريّ في تفسر القرآن الكريم ،حقيقته ومصادره وتطبيقاته/هدى جاسم أبو طبرة/ المكتب الإعلامي الإسلامي/ط١/١٤١٤هـ - ١٩٩٤.
- الميزان في تفسير القرآن /محمد حسين الطباطبائي/ منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة/(قرص مكتبة أهل البيت)
- نحو القرآن/د.عبد الستار الجواري/
- نهج البلاغة /اختيار الشريف الرضي من كلام سيدنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)/ شرح محمد عبده / دار المعرفة للطباعة والنشر/ بيروت/(قرص مكتبة أهل البيت).
- وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة / الفقيه المحدث الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي (ت١١٠٤هـ (/ تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث/قم /١٤١٤هـ-١٣٧٣هش.(قرص مكتبة أهل البيت) .

- <u>**البحوث:**</u>
- الأفهوم القرآني ونظريات تشكّل الخطاب:محمد مصطفوي/ مجلة الحياة الطيّبة/العدد ١٣ السنة٤/٢٠٠٣م-١٤٢٤هـ .
- الدلالة القرآنية وأحداث يوم المهديّ(في ضوء منهج الدلالة القرآنية للألفاظ ومبدأ عدم الإفتراق)/د.حسن عبدالغني الأسدي/ ملحق مجلة سبيل في الفكر المهدويّ/ العدد١١/ بغداد/٢٠٠٨م.
- سقوط الفخّارة فرجٌ لأمّة محمّد(صلى الله عليه وآله)بحث في علامات اليوم الموعود/ القسم الأول/د.أبو غدير الأسديّ/ملحق مجلة سبيل في الفكرالمهدوي/العدد٥/ بغداد/٢٠٠٧م .
- سقوط الفخّارة فرجٌ لأمّة محمّد(صلى الله عليه وآله)بحث في علامات اليوم الموعود/القسم الثاني/د.أبو غدير الأسديّ/ ملحق مجلة سبيل في الفكر المهدوي/العدد٦/ بغداد/٢٠٠٧م.

الـهوامش :

[١] - الإيضاح في علل النحو: ٦٥- ٦٦.

[٢] - حسبنا هنا ما فعله سيبويه في كتابه، فقد ذكر بعض الأحاديث وبعضها من المشهور واكتفى بذكر كلمة قال من غير الإشارة للقائل ولا لما يقتضيه ذكره من الصلاة عليه أو السلام .

[٣] - نحو القرآن: ١٢(المقدّمة).

[٤]- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم : ٨١ .وتنظر المنهج الأثري في تفسير القرآن

[٥] -نهج البلاغة، الخطبة ١٩٨

[٦]- نهج البلاغة، الخطبة

[٧] - فضائل القرآن وتلاوته(باب فضل القرآن على غيره من الكلام)، وينظر:جامع الأخبار عن مستدرك الشيعة :٢٨٨/١.

[٨]- علوم القرآن :٢٥٧

[٩] - ينظر انقطاع عتبة بن ربيعة عندما استمع إلى بعض آيات من سورة فصِّلت **((وكذلك أقر عتبة بن ربيعة أنه ليس بسحر ولا بشعر لما قرأ عليه رسول الله صلى الله عليه[وآله] وسلم: " حم " فصلت، ... فإذا اعترف عتبة على موضعه من اللسان وموضعه من الفصاحة والبلاغة، بأنه ما سمع مثل القرآن قط كان في هذا القول مقراً بإعجاز القرآن له ولضربائه من المتحققين بالفصاحة والقدرة على التكلم بجميع أجناس القول وأنواعه))**(تفسير القرطبي ٧٣/١ ،وينظر منه :٣٣٨/١٥)

[١٠]- **(قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظهيرا)**الإسراء: ٨٨.
(أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صادقين) هود: ١٣
(وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) البقرة: ٢٣

[١١] -ينظر:

[١٢] - الإتقان في علوم القرآن: الثامن والسبعون في معرفة شروط المفسر وآدابه/ موقع الوراق، وينظر:التفسير والمفسرون/محمد هادي معرفة:١٦٠/١

[١٣] -- انتهى علم القرآن إلى ثلاثة :عالم بالمدينة عليّ وعالم بالعراق ابن مسعود وعالم بالشام أبو الدرداء فإذا اجتمعوا سأل عالما الشام والعراق عالم المدينة ؛ينظر :تاريخ ابن عساكر ٤١٠/٤٢ ،وقد أشار السيوطي في آخر كتابه الإتقان إلى كثرة الأخذ عن عليّ في تفسير القرآن .

[١٤]- المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم:٨١.

[١٥]- - المعجم الأوسط:٣٣٢/٢٠.

[١٦]-إلزام الناصب:٥٢٠/١.

[١٧]- علوم القرآن: ٣٤٨. ووردت لفظة الصـادقين في القرآن (١٧ مرة) والصادقون مرتان.

[١٨] - مسند أحمد بن حنبل :١٨١/٢.

[١٩] - نهج البلاغة:الخطبة١٣٣.

[٢٠]- تفسير الميزان: ٨٧/٣.

[٢١]:- تفسير الميزان:٨٦/٣ ؛ حديث الثقلين من الأحاديث التي تصل إلى درجة التواتر معنى لتعدد طرق نقله ومن طرق نقله ينظر:علوم القرآن: ٢٥٥ الهامش ١.

[٢٢] -الجامع الصغير للسيوطي ١٤٨/١ ح ١١٥١.

[٢٣] - وسائل الشيعة ٢٧ / ١١٠.

[٢٤] - بحار الأنوار - العلامة المجلسي ج ٩٦ /٢٦٢، وسائل الشيعة ١٠٩/٢٧، ويجبر ضعف سند بعض هذه الأحاديث كثرتها و موافقتها العقل والقرآن فهو الحق والثقل الأكبر.

[٢٥] - وسائل الشيعة:٢٧ / ١١٠.

[٢٦] - نهج البلاغة :الخطبة ١٧٦.

[٢٧] - الملاحظ - بحسب حديث الثقلين- كون مفاتيح الإدراك للنصّ القرآني عند العترة ما يعني أنّ الرسول الأكرم(صلى الله عليه وآله) سعى من خلال هذا الحديث وأمثاله إلى تأسيس مرجعية أهل البيت لضمان الفهم الصحيح للقرآن. ومن ههنا عملنا في بعض بحوثنا

السابقة على تأسيس فهم مبدأ منهجي في الدلالة القرآنية سمّيته(**مبدأ عدم الافتراق**) ينظر للتفصيل في هذا المبدأ: **سقوط الفخّارة فرج لأمة محمد (ص)(بحث) ،و الدلالة القرآنية وأحداث يوم المهديّ(بحث)** .

[٢٨] - علوم القرآن :٣٦٦.

[٢٩] - بحار الأنوار ٩٠/٨٩،المطبوع:٩٠/٩٢ باب ٨ح٣٤.

[٣٠] - ينظر لما مرّ : أصول التفسير والتأويل ١٦٣ -١٦٥ .

[٣١] - علم الدلالة:

[٣٢] - علم الدلالة:

[٣٣] - من الممكن استعادة هذا السياق لأنه يكون المحتوى الدلالي للجملة أو للتركيب؛ للمزيد ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه.

[٣٤] - المستدرك للحاكم النيسابوري: ٤٣٩/٢، الجامع الصغير للسيوطي: ١٧٣/١

[٣٥] - الكافي ٢/ ٤٥٠.

[٣٦] - -معاني الأخبار ٩٨.

[٣٧] - وهي الآيات (١٩٠- ١٩٤)من سورة آل عمران.

[٣٨] - مجمع البيان ٥٥٤/٢.

[٣٩] - تفسير العياشي:٥/١، الكافي ٤٣٩/٢.

[٤٠] - المعجم الكبير - الطبراني: ١٨ / ٩١.

[٤١] - كنز العمال ١/ ٦١٩ ح ٢٨٦١ عن أصول التفسير والتأويل ١٦٠.

[٤٢] - بحار الأنوار ١٨٢/٩٢.

[٤٣] - مستدرك الحاكم النيسابوري: ١/ ٥٥٥.

[٤٤] - بحار الأنوار ٢٤/٨٩.

[٤٥]. - الظاهر :يقصمه

[٤٦] - سنن الترمذي : ٤ / ٢٤٥- ٢٤٦.

[٤٧] - نهج البلاغة : الخطبة ١٧٦ .

[٤٨] - التوحيد- الشيخ الصدوق: ٢٦٤.

[٤٩] - تفسير الميزان:٥/ ٢٧٢ .

[٥٠] - الأفهوم القرآني ونظريات تشكّل الخطاب: ٤١ (مجلة الحياة الطيّبة).

[٥١] - الإيضاح في علل النحو:٦٥-٦٦.وقد سبق ذكر النصّ كاملاً في توطئة البحث.

[٥٢] - تفسير العياشي:١٤/١ .

[٥٣] - تفسير العياشي:٢٠٣/٢.

[٥٤] - تفسير العياشي:٢٠٣/٢.

[٥٥] - فعن الرازي في(المحصول ٣ / ١٢٥) : **((المقتضى للعموم قائم وهو اللفظ الموضوع للعموم والمعارض الموجود وهو خصوص السبب لا يصلح معارضا لأنه لا منافاة بين عموم اللفظ وخصوص السبب فإن الشارع لو صرح وقال يجب عليكم أن تحملوا اللفظ العام على عمومه وأن لا تخصصوه سعيد[كذا] بخصوص سببه كان ذلك جائزا والعلم بجوازه ضروري))** .وقال الطباطبائي(الميزان ١١/ ٥٤) في سبب نزول بعض الآيات:**((الإسلام عند نزول السورة مبتلى بقريش ومشركى مكة وحوالبها لا يوجب تخصيصا في اللفظ فان خصوص المورد لا يخصص عموم اللفظ فالآية تنهى عن الركون إلى كل من اتسم بسمة الظلم ، أي من كان مشركا أو موحدا مسلما أو من أهل الكتاب))**. وينظر: فتح القدير ١٣١/١،و١٩٧/٣.

[٥٦] - المفردات في غريب القرآن : ٦، ونقل بعضه الزركشي في البرهان : ٢/ ١٧٣.

[٥٧] - مفهوم الجملة عند سيبويه:١٨-١٩ .

[٥٨] - جرى تطبيق المنهج في بعض البحوث المنجزة هي: دلالة لفظة تأويل في القرآن الكريم؛ المتشابه والكتاب والمحكم في القرآن ... وغير ذلك.

[٥٩]- علم الدلالة :٧٤.

[٦٠] - وهو التركيب الذي ورد في الآيات: البقرة٢١٠/الأنعام١٥٨/الأعراف٥٣/النحل٣٣/فاطر٤٣/الزخرف٦٦/محمد١٨.

[٦١] - تفسير ابن كثير:٣٦٥/٢.كنز العمال ١٩٢/١ ح٩٧٠

[٦٢]. كنز العمال ٦١٩/١ح٢٨٦١ عن أصول التفسير والتأويل ١٦٠.

[٦٣]- نهج البلاغة، الخطبة:

[٦٤] -تفسير الطبري:٥٦٧/٨.والحديث المذكور هو:٩٩٨٨

[٦٥] -الترادف هو:عدة ألفاظ تدلّ على معنى واحد، والتضادّ:هوان تحمل اللفظة دلالتين متضادتين.

[٦٦] - ينظر: علم الدلالة: ١١٤ – وما بعدها.

[٦٧] - وهي نظرية الرصف أو النظم ؛إنّ أهم ما يميز هذه النظرية من غيرها كونها لا تهتم إلاّ بالسياق اللفظي أو اللغوي أي ببيان مجموعة الكلمات التي تنتظم معها الكلمة موضوع الدراسة !!. ينظر:علم الدلالة :٧٤.

[٦٨] - ينظر علم الدلالة: ٦٨.

[٦٩] -ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه:٢٨٤.

[٧٠] - نهج البلاغة ،الخطبة :١٢٥ .

[٧١] - المستدرك على الصحيحين:٥٥٥/١.

[٧٢] - نهج البلاغة، الخطبة:١٨.

[٧٣] - ينظر النحو والدلالة :١١٤ وما بعدها .، نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث : ٨٨ .

[٧٤] - ينظر : مفهوم الجملة عند سيبويه :٢٧٨ - ٢٨١.وهي أيضا مجالات تحليل الجملة وهي:١- **مجال المقولات (الأصناف)** ٢- **مجال العمل** ٣- **مجال البنية** ٤- **مجال المحتوى الدلالي** ٥- **المجال القبلي.**

[٧٥] - مفهوم الجملة عند سيبويه :١٩٥ .

[٧٦] - مداخل جديدة للتفسير : ٢٧٧.

[٧٧] - وسائل الشيعة :٦١/١.

[٧٨] - تفسير العياشي : ٢٦/١ .